أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير :
د . محمد رفعت الإمام
مستشار التحرير للمواد الأرمنية :
بيـــرج ترزيـــــان
سكرتير التحرير :
على ثابت صبرى

العنوان : ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة
تليفون : ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
البريد الإلكترونى :
arekcairo@yahoo.com
رقم الإيداع : ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

إعداد وطباعة : ديزاين آرت
ت : ٢٤٣٣٠٨١٩ - ٠١٢٧٩٤٢٧١٨١
da_emad@yahoo.com

المحتويات

الموضوع — الصفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســـــــم : ....

المـــهـــنــــة: ....

الـــعـــنـــوان : ....

البريد الإلكترونى : ....

الـــتـــلـــيـــفـــون : ....



المسح الروسى لولاية قره باغ عام ١٨٢٣

مصدر أوّلى حول الديموجرافيا والاقتصاد فى قره باغ فى أوائل القرن التاسع عشر

ترجمة : سحر توفيق

بقلم : د . روبين أداليان

دأبت الأوساط السياسية والأكاديمية والإعلامية الأذربيچانية منذ عقدين أو منذ إعلان ناجورنو قره باغ استقلالها عن أذربيچان على ترويج «نظرية» جديدة مؤداها أن الأرمن لم يكن لهم وجود فى قره باغ ، وأنهم عنصر دخيل جاء من الخارج ، وطرد سكان قره باغ الآذريين الآمنين ، واستولوا على أراضيهم . ونتيجة لهذا الافتراء الرسمى ، ينشأ اليوم جيل جديد من الآذريين وقع فريسة للتضليل الحكومى ، ويُكن مشاعر الكراهية والعداء ضد الأرمن وأرمينية .

هذا ، ونُقدم فيما يلى مقالاً يُوضح من هم سكان قره باغ الأصليين ، وماهى نسبة الأرمن بينهم ، والبيانات الديموجرافية المستفيضة التى جاءت بها تُفند تماماً الادعاءات الآذربيچانية بصدد التركيبة السكانية لقره باغ عبر التاريخ .

مآثر بطولية ، هى تلك السلسلة من ترجمات چورچ بورنوتيان للمصادر الأولية والتى تشمل اللغات الروسية والأرمنية والإيرانية ، وأحدثها كتابه المسح الروسى لولاية قره باغ عام ١٨٢٣ : مصدر أولى حول الديموجرافيا والاقتصاد فى قره باغ فى أوائل القرن التاسع عشر ، ترجمات لا يُمكننا أن نصفها إلا بأنها مآثر بطولية تتطلب معرفة بمجال من اللغات أوسع من تلك المذكورة لكى يتمكن من فك طلاسم المعلومات التاريخية منذ القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، والكامنة فى تلك السجلات التى طال تجاهلها . وقد بلغ مجموع الكتب المنشورة لبورنوتيان ٢٠ كتاباً ، أكثر من نصفها يشمل هذه المصادر المترجمة ، وهى تخلق قاعدة جديدة لفهم التاريخ والمجتمع ، فضلاً عن الحرب والسياسة والدبلوماسية والدين والاقتصاد وعدد آخر من الموضوعات الخاصة بمنطقة ما وراء القوقاز فى زمن الحكم الاستعمارى الإيرانى والروسى .

أُجرى مسح عام ١٨٢٣ بناء على قرار أليكسى إرمولوف ، القائد العام الروسى لچورچيا ، ليضم خانية قره باغ ، والتى كانت فى السابق إمارة شبه مستقلة فى الشمال الشرقى من الدولة الإيرانية ، وقد خضعت خانيه قره باغ لحكم رومانوف فى عام ١٨٠٥ . واستمرت التوترات مع إيران فى زمن أسرة قاچار ، حيث قامت روسيا بالتوسع فيما وراء القوقاز المحيطة بالمنطقة ، وأنهى إرمولوف تردد الخانات بوضع دولة الحماية تحت الحكم العسكرى المباشر . ولكن

يتعرف على الهيكل الإدارى للخانية السابقة ، ولإعادة توجيه عوائدها من شوشى إلى تفليس ، أمر إرمولوف بإعداد المسح السكانى .

وحيث كان نظام الخانية الإدارى لايزال سليماً ، اعتمد المسئولون الروس على خدمات السكرتير العام لمكتب الخان ، وبدأت العملية بتسليم القوائم الضريبية للخانية . وعلى أساس هذه السجلات ، والتفتيش على أرض الواقع تحت إرشاد المسئولين المسلمين المحليين ، نجحت الحكومة الروسية فى إجراء بحث مفصل بدرجة مدهشة حتى أنه يُثير حسد أى شخص يقوم بمثل هذه المسح . وكانت النتيجة مجموعة تتكون من ٣٤ سجلاً مسجلاً فيها بالفعل كل شخص ، فردياً أو جماعياً . وأدت هذه المجموعة إلى عمل سجل دقيق للغاية للخزانة ، بالإضافة إلى صورة ديموجرافية صادقة للولاية الجديدة .

وحيث أن المسح أُعد لأغراض إدارية خالصة ، لم يُطبع حتى عام ١٨٦٦ ، وعندما نُشر كان ذلك فى طبعة محدودة للغاية فى العاصمة الإقليمية تفليس ، ومن المحتمل أيضاً أنه كان لاستخدام المسئولين فقط . وهنا يبدأ العمل المدقق لدكتور بورنوتيان ، الذى نما إلى علمه وجود هذا المسح من خلال الاستكشاف المسبق فى السجلات الإدارية الروسية حول منطقة ما وراء القوقاز ، وقاد بحثه عن نسخة أصلية كاملة للمسح إلى هذا الكشف الأخير لنسخة وحيدة سليمة في مكتبة الدولة الروسية فى موسكو .

كان الغرض الرئيسى من المسح هو تحديد كميات وأنواع العوائد التى تُجمع فى المعتاد . وفى نفس الوقت، أفادت الجدولة الشاملة فى تهيئة صورة متكاملة واضحة لاقتصاد المنطقة ، حيث تم تسجيل كل جزئية من المعلومات المالية المفيدة ، بدءاً من جدولة المهن التى يُمارسها سكان المدينة إلى وضع قوائم بأنواع المحاصيل التى تُزرع فى الحقول والمزارع والحدائق . وقد تم تعريف ستة أنواع من ملكية الأراضى ، وهى تشمل أراضى «الخاصة» ، أو أراضى البيت المالك التى انتقلت منذ عام ١٨٠٥ ، من أيدى أسرة قارچار ؛ وأراضى «ديوانى» التى كانت عوائدها ملك الخان وعائلته ؛ و«المُلك» أى الملكية الخاصة ؛ وال«تيول» ، وهى نوع من الإقطاعيات التى لا تُورّث ، وتذهب عوائدها لتغطية خدمات العديد من المسئولين ؛ ثم أراضى «الإيلاق» أو «الإيالة» ، و «القشلاق» ، وهى أراضى رعى للبدو ؛ وأخيراً «الوقف» ، أو الأراضى الخيرية التى تُوقف عوائدها على مؤسسة دينية .

كان هذا النظام لملكية الأراضى يجرى عليه ٣٢ نوعاً مختلفاً من الضرائب والرسوم والتى تم حسابها ، وكمية كبيرة منها تُحتسب نوعياً ، بما يترك انطباعاً بأن قره باغ كانت لاتزال تعيش تحت نير الإقطاع . ومن الناحية الأخرى ، فإن سجل المدفوعات الذى يُذكر فيه التقييم والتثمين حتى أصغر قطعة من العملة «الكوبك» ، يدل على أن المنطقة كانت تنتقل سريعاً إلى اقتصاد نقدى ، حيث كان جزء كبير من العوائد يُدفع نقداً . ومن الأمثلة البارزة على اضطرار العديد من القرى لدفع الضرائب نوعياً ، مع الإشارة إلى الأحوال المناخية بسبب الارتفاع الشديد للنتوء الجبلى الخليجى لشوشى ، يذكر المؤلف التسليم الإجبارى لخشب النار لقوات الخان المتمركزة فى القلعة ، ويُعد هذا نموذجاً للمطالبات من قرى عديدة بالدفع بهذا النظام .

فإذا تصادف أن مسئولية الإمداد بخشب النار كانت مقسمة بالتساوى بين قرى مسلمين وقرى مسحيين ،

بحسب بورنوتيان أن وطأة الضريبة كانت تُلقى على السكان الأرمن ، الذين كانوا يدفعون ٨٥ , ٥٢٪ من العوائد ، بينما كان التتر والبدو يدفعون ١٥ , ٤٧٪ من الحصيلة الكلية للضرائب النوعية أو النقدية على السواء . ومن الجدير بالذكر ، أن نصف السكان تقريباً من كلتا المجموعتين كانوا معفيين من الضريبة ، مما يُلقى بعبء المتميزين ذوى الصلات الجيدة وعبء الفلاحين العاديين ، بصرف النظر عن الدين والعرق . ويُصبح مدى مشقة الإتاوة المفروضة على كاهل الفلاحين الأرمن أكثر وضوحاً عندما يُوضع فى الاعتبار التكوين العرقى للسكان .

ويضع المسح تمييزاً دقيقاً للغاية بين السكان من البدو الرحل والمقيمين ، فيكشف عن أنهم كانوا قسمين متساويين . كما يُوضح المسح أن الأشخاص والعائلات أو الجماعات ، تحت التصنيف البدوى ، كانوا جميعاً أعضاء فى قبائل مسلمة ، وفى الأساس هى قبائل تركية وقوقازية ، وبعضها قبائل كردية ، وكلها تقوم السلطات الروسية بتصنيفها كتتر . وفى المجموع ، يحسب بورنوتيان أن السكان فى وقت ضم المنطقة كانوا : ٨,٥٨٤ من عائلات البدو الرحل (٦٦ , ٤٥٪) و ٥,٢٠٩ من العائلات الأرمنية (٧١ , ٢٧٪) ، و ٥,٠٠٥ من العائلات التترية (٦٣ , ٢٦٪) .

ويكشف التوزيع الجغرافى لسكان خانية قره باغ نموذجاً آخر لايزال مغزاه يتردد صداه إلى يومنا هذا ، وهو يتعلق بالقسم غير البدوى وغير المسلم من السكان. ففيما يتعلق بهذا الأمر ، فإن السجلات كنز دفين من البيانات ، فمع جدولة القرى قرية قرية من المحال أو الأقاليم العشرين ، تُشير السجلات أيضاً إلى المناطق التى كان يتركز فيها السكان الأرمن . ويكشف بورنوتيان أن «المسح يُؤكد بوضوح أن الأرمن كانوا يُشكلون أغلبية ساحقة فى المحال الخمسة التى تشكل منها فيما بعد إقليم قره باغ الجبلى . فقد كانوا هم السكان الوحيدون فى كل قرى محال جولستان ، وخاتشين ، وچرابرد . وبالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك قرية واحدة من التتر فى كل من ڤاراندا وديزاك ، بينما كان الأرمن يسكنون بقية القرى» . وكان هذا يعنى أن الأرمن فى عام ١٨٢٣ كانوا يُشكلون ٦٧ , ٩٦٪ من سكان إقليم قره باغ الجبلى .

ولا تقتصر السجلات على ما نعرفه اليوم من المناطق العليا أو الدنيا فى قره باغ ، حيث كانت الخانية تمتد إلى أجزاء من جنوب أرمينية فى يومنا هذا ، ومن ثم كان المسح يتضمن التركيبة السكانية والعرقية لأماكن مثل سيسيان ، بارجوشات ، وتاتيف ، وغيرها من المناطق المجاورة فى ولاية زنجزور التى شملها المسح .

وحيث ذكرت أسماء كل من كان يتولى إدارة كل قرية ، فإن المسح يكشف أيضاً كمية هائلة من المعلومات عن نظام الحكم المحلى . ورغم أن الخان كان يحكم من شوشى ، فلا شك أن رؤساء القبائل المسلمين كانوا يقودون القبائل ، وأن وجهاء التتر كانوا يُسيطرون على القرى ، وكان عدد لا بأس به من المستوطنات الأرمنية لاتزال تحت إشراف «المليك» الأرمن ؛ أمراء الجبال من نسل العائلات الحاكمة القديمة لشرق أرمينية . ويذكر السجل رقم ٤ من المسح أن ميليك تانچى كان يتولى إدارة محل سيسيان . وكان مينباشى ميليك بوغوص يتولى إدارة القرى الأرمنية تاتيف وشيناتاج وشينجر وخوت وهاليدزور ولور. ورغم أنه من غير المحتمل أن ميليك بوغوص كان قائداً

على ألف رجل فى أى وقت ، فإن لقب «مينباشى» ، مثله مثل لقب «يوزباشى» بالنسبة لقائد على مائة من الرجال ، قد مر بتسلسل معين منذ عصر داويد بك قبل قرن ومن المحتمل حتى زمن الشاه عباس قبل ذلك بقرن آخر .

وتستمر قائمة الإداريين الأرمن . فى محل جولستان ، كانت قرية كاراتشيناز إقطاعية فى حيازة ميليك يوسف (هوڤسب) ، حيث كان يُقيم أيضاً ميليك ميناس ، ابن ميليك أبوف . كانت القرى الست فى محل كويبارا بزانجور إقطاعية فى حيازة مينباشى ميليك پارساداان . وفى محل خاتشين ، كانت قرية خاندرستان يقوم على إدارتها ميليك كهرمان ، والذى عرَّفة بورنوتيان بأنه ابن آخر حامل لقب ميليك جرابيرد من بيت آلاهڤرديان . وقد سجلت قرية ڤيانخلى الأرمنية كمُلْك ، وصححها بورنوتيان إلى وقف ، لدير جاندزاسار ، «يديرها الأسقف الأرمنى سركيس نيابة عن ابن أخيه ، قولى بك حسن چلالوف سليل مباشر لعائلة حسن چلاليان الأميرية ، والتى ساهمت أيضاً بخط من الچثالقة فى جانزاسار عندما كانت مقراً جاثليقياً منفصلاً .

وهنا ، لا يُؤكد المسح وجود مستوطنات كل سكانها من الأرمن فحسب ، ولكنه لا يفعل ذلك فقط ، ولكن مقر زعماء القبائل فى الهضاب يشهد أيضاً على أن الأرمن ظلوا محتفظين باستمرارية مدهشة فى التنظيم الاجتماعى والسياسى ، رغم الضغوط والقلاقل ، مما يدل على مدى ما كانت تمتلكه تلك المجتمعات المعزولة من قدرة وتحمل . ومن الثابت أن الشريحة العليا من الميلكيات الأرمنية الخمسة فى قره باغ ، مع هياكلهم العسكرية الحاضرة فى ذلك الوقت ، قد انكسرت .

ولكن ، كان تماسك التنظيم الاجتماعى لايزال باقياً . وفضلاً عن هذا ، فإن هذه المؤسسة المدهشة التى تحفظ السلطة الإدارية المحلية بين الوجهاء الأرمن كانت استثنائية فى قره باغ وزانجزور . فلم يكن هناك مثيل لها باق فى أى مكان من أرمينية ، فيما عدا تلك الخاصة بالإشخان الأرمن ، أو الأمراء حاملى اللقب ، فى زيتون على قمة جبال قيليقية .

تكتظ سجلات المسح بكل نوع من التفاصيل الممتعة والمثيرة للاهتمام ، بل إن بعضها يشهد على اعتماد متبادل بين أبناء الدينين رغم التنافس على الأرض والموارد ، والذى يتضح من تقسيم العمالة ، الذى كشف عنه العزل الحادث بين مختلف الجماعات العرقية ، على الأقل بقدر ما كان الأمر يختص بالتمييز بين القطاعين الزراعى والرعوى من الاقتصاد . وعن قرية خوت ، يترك لنا المسح سجلاً بإنتاج النبيذ وعادات الشرب بين المسيحيين والمسلمين . وبدلاً من دفع الضريبة على مزارع الكرم فى خوت وسينجر وهاليدزور ، مُنح ميليك بوغوص وأخوه الحق فى الحصول على مائة جرة من النبيذ و ٢٥ جرة من الفودكا ، وفى مقابل ذلك كان الخان يتلقى كل الكمية التى يرغب فيها من النبيذ والفودكا ، أو من منتجات مزارع الكروم .

بالإضافة إلى القيمة المؤكدة والثابتة لهذا المسح كسجل تاريخى يحتوى كمية هائلة من البيانات المفيدة ، كان هناك سبب آخر دفع بورنوتيان لإعداد هذه الترجمة الدقيقة للمسح الروسى . ففى السياق الحالى للصراع بين الأرمن والآذريين على إقليم ناجورنو قره باغ ، يظهر أن سجلاً لم يمض على كتابته ٢٠٠ عام قد نجا من سوء الاستخدام من جانب أطراف

تقوم بتصنيع تاريخ مزيف للمنطقة . يقول بورنوتيان أن هناك نسخة مزيفة من نفس الشيء نُشرت فى باكو عام ٢٠٠٣ ، وقد كان المقصود بها التقليل من حجم الوجود التاريخى للأرمن فى قره باغ لتقوية القضية الكاذبة بأنهم وصلوا إلى المنطقة متأخرين ، تحت نفوذ روسى مفترض .

وبذكاء ، تكشف ترجمة بورنوتيان أمام الاستخدامات البحثية إمكانيات لا حدود لها للغوص بحثاً عن الثروة الهائلة من المعلومات المسجلة فى المسح الروسى ، فالوثيقة عبارة عن مخزن هائل لكثير من السكان السابقين الذين تمت صياغة الأمة الآذرية المعاصرة من خلفياتهم المتنوعة ، ومن الأرمن الذين كان وجودهم التاريخى فى جبال قره باغ يجعل منهم سكاناً محليين لا خلاف على حقهم فى ذلك الوقت مما هو اليوم . وبهذا ، فإن هذه الأداة الإمبريالية يظهر أنها وُضعت فى غير موضعها فى التداول منذ عقد مضى كأداة جديدة لما يبدو أنه استعمار ارتجاعى . تستعيد ترجمة بورنوتيان المسح إلى الاستخدام الصحيح كسجل لزمن ومكان لايزال يُعانى من آثار مؤلمة لتراث من السياسات الاستعمارية والأفعال الكولونيالية * .

* مجلة «أرارات» الالكترونية للاتحاد الخيرى الأرمنى العام .

أرمينية والبلاد العربية

● فى ١٢ فبراير ٢٠١٣ ، التقى السفير الأرمنى بلبنان مع السيد فادى عبودى وزير السياحة اللبنانى . وأثناء اللقاء ، أكد الطرفان على أن الزيارات المتبادلة لرئيسىّ أرمينية ولبنان خلال العامين الماضيين قد أعطت مضموناً جديداً للعلاقات الثنائية للبلدين . ونوّه الجانبان إلى ضرورة استخدام كل الإمكانيات لخلق التعاون الثنائى فى مجال السياحة على الأخص . كما بحثا إمكانية إقامة مهرجان أرمنى لبنانى موسيقى دولى فى قرية عنجار اللبنانية التى يقطنها الأرمن . هذا ، وقد أبدى الوزير اللبنانى استعداده لمساندة تنظيم المهرجان ، كما أبدى تقديره العالى للعلاقات الثنائية فى السياسة والاقتصاد . وأخيراً ، أبدى الطرفان قناعاتيهما بأن المهرجان سيُساعد على تقوية وتعميق علاقات الصداقة الأرمنية اللبنانية .

● وفى ١٣ فبراير ٢٠١٣ ، تقابل سفير جمهورية أرمينية فى دولة الإمارات العربية كيغام غريبچانيان مع الشيخة لبنى القاسمى وزيرة التجارة الخارجية للإمارات العربية المتحدة . وخلال اللقاء ، بحث الجانبان سُبل التعاون بين أرمينية والإمارات فى مجالىّ التجارة والاقتصاد لاسيما موضوع اشتراك أرمينية فى المؤتمر السنوى للاستثمار الذى سُيعقد فى دبى خلال الفترة من ٣٠ أبريل إلى ٢ مايو ٢٠١٣ ، وكذلك ، موضوع انعقاد المرحلة الثانية من مؤتمر رجال الأعمال الأرمنى الإماراتى . هذا ، وقد قدّرت وزيرة التجارة الخارجية الإماراتية الخطوات التى اتخذها الجانبان لتنمية التعاون المتبادل فى مجالىّ التجارة والاقتصاد . وأبدت الوزيرة استعدادها للإسهام فى أية مبادرة يقوم بها الجانب الأرمنى .

مؤتمرات

أرمينية وحوار الحضارات
٥٠٠ سنة من العطاء الطباعى

إعداد : د. سحر حسن

في ٢٥ فبراير ٢٠١٣ ، عقد مركز الدراسات الأرمنية بكلية الآداب جامعة القاهرة مؤتمره الدولى الخامس عن « أرمينية وحوار الحضارات : ٥٠٠ سنة من العطاء الطباعى » ، وذلك فى إطار الاحتفالات داخل أرمينية وخارجها بمناسبة مرور خمسة قرون على صدور أول كتاب مطبوع باللغة الأرمنية علاوة على اختيار العاصمة الأرمنية يريفان عاصمة عالمية للكتاب عام ٢٠١٢ . وخلال الجلسة الافتتاحية ، ألقيت كلمات ترحيب من د. محمود علاوى مدير المركز ، ود. معتز سيد عبد الله عميد كلية الآداب جامعة القاهرة .

وفى كلمته ، أكد د. أرمين ميلكونيان سفير جمهورية أرمينية بالقاهرة على أن هذه المؤتمرات أصبحت « تقليداً مهماً ومتميزاً » بفضل جهود المسئولين بجامعة القاهرة ، وكذا ، كوكبة الباحثين والمتخصصين علاوة على المنظمات الثقافية للجالية الأرمنية فى مصر . وأشار سعادته إلى دور مركز الدراسات الأرمنية فى توسيع شرايين المعرفة العلمية الجادة والرصينة عن أرمينية والأرمن . وشدَّد السفير الأرمنى على أن غاية حوار الحضارات تتمثل فى التقارب والتفاهم والتسامح بين الشعوب بغض النظر عن الاختلافات العرقية والدينية . وخلص سعادة سفير جمهورية أرمينية بالقاهرة إلى أن المستقبل لن يتحقق إلا بالحوار الحضارى المخلص والواسع النطاق .

هذا ، وقد جرت فعاليات المؤتمر على أربع جلسات ، ضمت عشرين باحثاً وأكاديمياً من مصر وأرمينية . وقد رأس الجلسات كل من : د. يوسف عبد الفتاح فرج (كلية دار العلوم بالقاهرة) ، د. محمد عفيفى عبد الخالق (كلية آداب القاهرة) ، د. محمد رفعت الإمام (كلية آداب دمنهور) .

فيما يتعلق بالتأثير والتأثر بين اللغتين الأرمنية والفارسية ، أفادت ورقة د. محمود علاوى رئيس قسم اللغات الشرقية بآداب القاهرة ومدير المركز بأن ثمة علاقات قديمة ووثيقة ربطت بين الشعبين الأرمنى والفارسى على شتى النواحى السياسية والثقافية والاقتصادية . ولذا ، ظهرت مؤثرات ثقافية ولغوية بارزة على اللغة الأرمنية لاسيما لغة الحوار ، وكذا ، لغة الأدب . وحسب إحصاء هراتشيا آجاريان ، دخلت «١٤١١» كلمة إلى اللغة الأرمنية من اللغة الفارسية . ويرى البعض أن العدد قد يزيد عن هذا الرقم بكثير . وقد تركت اللغة الفارسية بصماتها على اللغة الأرمنية من خلال الألفاظ المنفصلة ، وليس من خلال الجمل وأسلوب الكتابة .

وبخصوص اللغة والهوية عند الأرمن ، جاءت ورقة د. يوسف عبد الفتاح فرج ، وفيها أشار إلى خصوصية النموذج الأرمنى نظراً لوضعه الجغرافى وتطوراته التاريخية . وحسب رؤيته ، تعرّضت أرمينية لسلسلة من الغزوات مما أدى إلى تشتت قطاعات أرمنية كثيرة عبر العالم ، واتسموا بكونهم من أكثر الشعوب هجرة . وفى هذا الصدد ، قامت الكنيسة الأرمنية بدور محورى فى الحفاظ على الهوية الأرمنية فى المهجر . وقد رصد د. فرج هذه القضية من خلال «الأمثال الأرمنية» التى نشرها مركز «حوار الحضارات» فى إيران ضمن كتاب «قصص الأرمن وحكاياتهم الأسطورية» .

وقد أفاض نيافة الأسقف كريكور أغسطينوس كوسا مطران الأرمن الكاثوليك بمصر فى أثر «الآباء المخيطاريين على الثقافة الأرمنية» . ووفقاً لورقته ، أسس أبوت مخيطار السيباسطى «نظام المخيطاريين» فى عام ١٧٠١ بعد أن اعتنق الكاثوليكية فى عام ١٦٩٥ . وتمركز المخيطاريون فى البندقية وڤيينا . وكان هؤلاء الآباء أول من أقاموا الاتصال الحقيقى بين الأرمن وأوربا فى العصور الحديثة ؛ إذ اهتموا كثيراً بحفظ الثقافة الأرمنية ، وإحياء دراسة التاريخ الأرمنى واللغة الأرمنية وفقهها . كما ترجموا الكلاسيكيات الأوربية إلى اللغة الأرمنية ، وكتبوا أعمالاً تاريخية ولغوية وأدبية ودينية مستخدمين المصادر الأصلية باللغتين اللاتينية واليونانية وغيرهما . وجدير بالذكر أن المخيطاريين لم يُمكنوا أوربا أن تطلع على الماضى الأرمنى فحسب ، ولكن أعمالهم قد وجهت الفكر الغربى شطر الأرمن بالدولتين العثمانية والروسية ، وقامت بدور مهم فى صياغة النهضة الثقافية الأرمنية خلال القرن التاسع عشر . وأسس الآباء المخيطاريون مدارس ، وأصدروا دوريتين هما : «بازماڤيب» التى صدرت فى البندقية منذ عام ١٨٤٣ و «هانتيس أمسوريا» التى صدرت بڤيينا بدءاً من عام ١٨٨٧ .

أما عن مملكة هاياسا وعلاقاتها ، فقد خصص الباحث الأرمنى روبيرت غازاريان ورقته لسبر أغوار هذا الموضوع . وقد استمد الباحث مادته من مصادر حيثية مهمة ، حيث رصد من خلالها علاقات مملكة هاياسا مع بلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى والهضبة الفارسية . وكان الحيثيون يُسمون جيرانهم الأرمن بإسم «هاياسا» Hayasa ؛ هاى Hay هم الأرمن ، أسا asa أى مكان أو بلد . ويكاد يتفق المتخصصون على أن الموقع الجغرافى لهاياسا هو الهضبة الأرمنية . وفى المخطوطات الحيثية ، يوصف حكام هاياسا بـ «الملوك» . كما أبرم الحكام الحيثيون اتفاقيات مع ملوك هاياسا ، ودعوهم إلى قصورهم ، وتكونت روابط أسرية . وبموجب هذه الاتفاقيات ، أرسلت مملكة هاياسا «٧٠٠» عربة عسكرية و «١٠٠٠٠» جندى للانضمام إلى الجيش الحيثى . وقد اثبتت فرق هاياسا بأنها قوة عسكرية أكثر فعالية . ويُستفاد من المصادر الحيثية أيضاً أن هاياسا قد تميزت بالحقول والكروم والمراعى والحيوانات لاسيما الخيول . وبصفة عامة ، كانت هاياسا دولة ذات قدرة عسكرية ، أقامت علاقات تحالف مع الإمبراطورية الحيثية ، التى تُعد من أبرز القوى آنذاك إبان القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد .

وعن التلاقح الثقافى بين العرب والأرمن منذ القرن السابع حتى العاشر الميلادى ، جاء إسهام الباحثة د. ميرڤت رضا أحمد محمد ، بجامعة القاهرة . وخلال الورقة ، سلطت الباحثة الأضواء على تمازج العرب والأرمن فى مجالات العلوم والفنون والترجمة والرحلات ، واستعرضت نماذج من مظاهر التمازج الثقافى فى العلوم الإنسانية والتطبيقية والفنون والموسيقى .

ووصلاً لهذا الاتجاه ، تحدث د. سيد عشماوى بآداب القاهرة عن «أبو بكر بزدانياز الأرمنى» ودوره فى «التصوف الإسلامى» . ووفقاً لما ذكره ، يُعد أبو بكر من أعلام التصوف الإسلامى . وقد ذكره عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه الموسوم «الطبقات الكبرى» ، وأشار إلى أنه من أهل أرمينية ، وله طريقة فى التصوف يختص بها . وكان عالماً بعلوم الظاهر والمعارف والمعاملات ، وله مجادلات ومعارك فكرية مع علماء بغداد . وخلاصة طريقة أبى بكر فى التصوف هى : إبراز الروابط بين البشر فى ممارسات سلوكية وعلاقات أخلاقية عملاً وسلوكاً وعادات ووعى ومشاعر وقناعات وأهداف وأفكار وغيرها .

وفيما يتعلق بـ «العلاقات التجارية الأرمنية الهندية» إبان عصر أباطرة المغول العظام ، فقد أفاضت فيها الباحثة وفاء محمود عبد الحليم ، حاصلة على دكتوراة فى التاريخ الإسلامى جامعة القاهرة . وحسب ورقتها الرائعة :

«لم يأت تأثير الأرمن فى الهند عن طريق الغزو العسكرى ، وما يتبع ذلك من تدمير وفرض سياسات على البلاد المفتوحة ، وإنما جاء التأثير عن طريق الأفعال الجديرة بالثقة المتأثرة بحب الوطن والاعتزاز به للتجار والمستوطنين الأرمن الذين شكلوا جزءاً صغيراً من مجتمعات المراكز التجارية بالهند .

فقد ُعرف الأرمن ببراعتهم فى التجارة ، وقد اتصل التجار الأرمن بعلاقات تجارية قديمة مع الهند ، وقد وصلوا إليها عبر الطريق البرى المار بإيران ، وكانوا أول من حمل البهارات وقماش الموصلين والأحجار الكريمة إلى أوربا وغيرها ، وحققوا ثروات طائلة من هذه التجارة .

وقد حظى الأرمن برعاية كبيرة من أباطرة المغول وخاصة الإمبراطور «أكبر شاه» وابنه الإمبراطور «جهانكير شاه» ، وقد دعاهم «أكبر شاه» إلى الإقامة فى عاصمته «أكره» التى تزايدت أعدادهم بها بمرور الوقت حتى أنه سمح لهم سنة ١٥٦٢ ببناء كنيسة بها ، وحظوا بامتيازات تجارية واسعة ، فقد عفاهم «أكبر شاه» من الجمارك على صادراتهم ووارداتهم إلى الهند ، كما قام «أورنجزيب» بتخفيض الضرائب المفروضة عليهم من ٥ ٪ إلى ٣,٥ ٪ من قيمة بضاعتهم . وكان لهم الحرية المطلقة فى التجوال فى الهند حتى فى الأماكن المحظور دخولها على الأجانب .

وقد ثبت من خلال كتابات الرحالة والسفراء والرسائل المتبادلة بين التجار والنقوش على مقابر الأرمن انتشار التجار الأرمن فى العديد من المدن المهمة والمراكز التجارية بالهند ، والتى من أهمها بعد «أكره» و«دلهى» و «لاهور» و «سورت» و «بومباى» «منجهير» و «دكا» و «لكهنوتى» و «كلكتا» و «مدراس» .

ارتبط الأرمن فى الهند بعلاقات وثيقة مع البعثات التبشيرية المسيحية التى وفدت إلى بلاط الإمبراطور «أكبر شاه» ، والتى من أهمها بعثة الچيزويت ، كما ارتبطوا بعلاقات قوية مع السفراء والتجار الإنجليز الوافدين إلى البلاط المغولى فى تلك الآونة .

حمل الأرمن كثيراً من المؤثرات الاجتماعية والدينية إلى المجتمع الهندى ، وقد عدوا من أقدم من بشر بالمسيحية فى الهند ، ويشهد على ذلك الجهود التبشيرية المبكرة لـ «توماس كانا» الذى ُعرف بإسم «كاناج توماس» التى تعنى توماس التاجر» .

وعطفاً على هذا ، جاءت مشاركة د. نبيل حنفى محمود الأستاذ بكلية الهندسة جامعة المنوفية عن «الإسهام الحضارى للأرمن فى مصر المملوكية : عبد الغنى بن عبد الرزاق الأرمنى نموذجاً» . ووفقاً لرؤية د. نبيل حنفى أنه قد تعددت أوجه الإسهام الحضارى للأرمن فى دولة المماليك بمصر ، وذلك لاختلاف ما

لعبه الأفراد منهم من أدوار فى مختلف مناشط الحياة بمجتمع تلك الدولة ، فبينما اقتصر دور البسطاء من الأرمن فى مصر على ممارسة ما يتقنون من حرف ومهن ، مما يكفل لهم مصادر الرزق فى مجتمع تتناوشه الأزمات والحروب وتثقل كاهل أفراده الضرائب والجبايات ، فإن دور الأعلام منهم ـ ممن عملوا فى دواوين الدولة وبلغ البعض منهم مراتب النخبة الحاكمة ـ اتسع ليشمل العديد من المهام ، وذلك نظراً لتعدد ما أسند إليهم من مناصب ، مما ترتب عليه تنوع إسهاماتهم الحضارية فى المجتمع المصرى خلال تلك الفترة .

يُعد عبد الغنى بن عبد الرازق الأرمنى أشهر أعلام أسرة أبو الفرج بن نقولا الأرمنى ، تلك الأسرة التى تناثرت أخبار وتراجم أعلامها فى كثير من مصادر تاريخ مصر المملوكية ، وقد تقلد أعلام تلك الأسرة الكثير من وظائف الدولة العليا ، حتى أن ثلاثة من أعلام تلك الأسرة تقلدوا منصب الوزير (وهو ما يُعادل منصب رئيس الوزراء فى عصرنا الحالى) فى حكومات عدة ، وحده عبد الغنى بن عبد الرزاق الأرمنى المعروف بفخر الدين الأستادار من تعددت إسهاماته الحضارية بين أعلام أسرته ، فخلا تقلده لكثير من مناصب الدولة العليا مثل والى قطيا والأستادار وكاشف الوجه البحرى والوزير ، فقد ارتبط اسمه بأثرين من آثار دولة المماليك ، وهما «الجامع الفخرى» الذى شيّده فى خط بين السورين بالقاهرة ورباط أنشأه عند بداية زقاق جياد الصغير والقريب من المسجد الحرام فى مكة المكرمة ، وبالرغم من صغر ما عاشه عبد الغنى بن عبد الرزاق الأرمنى من عمر ، حيث وافاه الأجل وهو بعد لم يُجاوز السبعة والثلاثين سنة من عمره ، فإن ما عاشه من أحداث وما أتمه من إنجازات تقصر عنه أعمار أكبر كثيراً مما عمر .

وفى التاريخ الحديث والمعاصر ، جاءت العديد من الإسهامات العلمية . ففيما يتعلق بدور الأرمن فى ارتقاء فن العمارة فى الدولة العثمانية ، تحدث الباحث سامح حسين الجارحى ـ معيد بقسم اللغات الشرقية بآداب القاهرة ـ عن «المعمارى الأرمنى سنان باشا» . وفى كلمته أوضح الجارحى أن العنصر الأرمنى قد أسهم بدور كبير فى الازدهار الحضارى للدولة العثمانية ؛ فقد كان منهم فنانون وأدباء وشعراء ومعماريون ورسامون وعلماء . وبالنسبة لفن المعمار أو فن العمارة ، نجد أن أهم فنانى العمارة فى الدولة العثمانية هو المعمارى الأرمنى سنان باشا الذى صارت مدرسته فى فن العمارة من المدارس الفنية الرائدة فى ذلك الفن على مستوى العالم ، ويُدّرس منهجه فى فن العمارة فى كثير من معاهد وكليات العمارة فى العالم نظراً لابتكاره طرقاً أكثر تميزاً فى هذا الفن . وحسب دائرة المعارف الإسلامية : «إن المعمارى سنان هو واحد من أعظم المعماريين الذين ظهروا فى التاريخ» . وطبقاً لشهادة المستشرق بارتولد فى كتابه «الحضارة الإسلامية» : «إن الأعمال التى قام بها المعمارى سنان باشا لم تكن أقل من الناحية الفنية من الأعمال المعمارية الأوربية فى عصر النهضة» . ومن أشهر أعمال سنان باشا : مساجد الفاتح ، السليمانية ، نور عثمانية ، خسرويه .

وعن دور الأرمن فى التعليم والثقافة فى مصر إبان العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ، ألقى د . جمال كمال محمود الحاصل على دكتوراة من جامعة القاهرة بحثاً مهماً . ومما ورد فى هذا البحث ، أنه لما كان للعديد من الأرمن دورهم فى النشاط الاقتصادى لاسيما التجارة ، ولذا ، نجد إقبال بعضهم على تعلم القراءة والكتابة حيث ذهبت دراسة حديثة إلى الربط بين تعلم القراءة والكتابة من ناحية والتجارة من ناحية أخرى ؛ إذ

يحتاج التاجر إليها فى إبرام الصفقات . ولذا ، أسهمت التجارة فى انتشار القراءة والكتابة . وتجدر الإشارة إلى أن الأرمن قد كتبوا عقودهم التجارية آنذاك باللغات الأرمنية والتركية والعربية .

هذا ، وقد احتلت الأبحاث المرتبطة بالطباعة مكانة محورية ضمن الموضوعات المطروحة فى المؤتمر . فبالنسبة للطباعة فى الأستانة بين عامىّ ١٨٣٩ - ١٨٧٨ ، تحدثت الباحثة آلاء فهيم المسجلة لدرجة الماچستير بآداب الإسكندرية . وفى هذه الورقة ، أدرك الأرمن منذ اختراع آلة الطباعة على يدىّ الألمانى جوتنبرج مدى أهمية هذه الآلة ، ولذا ، سعوا إلى إدخالها إلى الأستانة حاضرة الدولة العثمانية . وقد قامت الطباعة الأرمنية بدور مهم فى النهضة الفكرية الأرمنية لاسيما فى الفترة المعروفة فى التاريخ العثمانى العام بـ «عصر التنظيمات» (١٨٣٩ - ١٨٧٨) . وبفضل الطباعة ، ازدهر التعليم وكذا الصحافة والترجمة والفنون والآداب وغيرها . وتجدر الإشارة إلى أن المدارس الأرمنية قد أسهمت بامتياز فى تخريج جيل من الأرمن المشبع بالثقافة الأوربية ، كان له أثر كبير فى تحريك قاطرة النهضة الأرمنية وتطويرها . وبعد أن أكمل قطاع من الأرمن دراساتهم العليا فى أوربا ، أخذوا ينشرون الأفكار الحديثة عن طريق التدريس والتأليف وإصدار الصحف . وفى منتصف القرن التاسع عشر ، ازدادت أعداد المطابع الأرمنية على امتداد الدولة العثمانية مما أسهم بقوة فى صدور العديد من الصحف والمجلات ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر : ماسيس ، هايرينيك. وعلاوة على ما سبق ، أسهمت الطباعة الأرمنية فى حركة الترجمة من اللغة الأرمنية إلى غيرها من اللغات . كما تُرجمت التراچيديات الكلاسيكية ، وتم أداؤها على أول مسرح تأسس فى الأستانة على أيدى الأرمن . وهكذا ، قامت الطباعة بدور فاعل وإيجابى فى تكريس اليقظة الفكرية .

أما عن الطباعة الأرمنية فى مصر ، فقد كانت ورقة د. سورين بايراميان ، وهو طبيب أسنان أرمنى مصرى معنى بالصحافة الأرمنية . وطبقاً لورقته ، بدأت صناعة الطباعة بالحروف الأرمنية فى مصر على يدىّ الصحفى الأرمنى أبراهام مراديان محرر جريدة «أرماڤينى» (سعف النخيل) - باكورة الصحافة الأرمنية فى مصر - التى تأسست عام ١٨٦٥ بالقاهرة . وعلى مدار قرن وربع القرن ، أخرجت المطابع الأرمنية بمصر إصدارات باللغة الأرمنية قُدرت بـ «١٥٦٠» عنواناً ، تنوعت بين القصص والروايات وتقارير سنوية ودورية ولوائح نظامية ومجموعات أدبية وكتب مدرسية فى التاريخ والجغرافيا والرياضيات وحوليات سنوية . وقد لاحظ د. سورين أن ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين تُمثِّل أوج الإصدارات الأرمنية بمصر (٥٩٣ إصداراً بنسبة ٣٧,٥ ٪) . وفى شارع الصحافة ، رصد د. سورين «١٦٥» دورية أرمنية صدرت فى مصر منذ عام ١٨٦٥ وحتى عام ٢٠١٠ ، خرجت من «٥١» مطبعة بالقاهرة والإسكندرية . وقد تنوعت فى توجهاتها بين : السياسية والقومية والأدبية والفكاهية والمعرفية والثقافة العامة .

هذا ، وقد أثارت الباحثة مروة فوزى شهاب باحثة دكتوراة بجامعة عين شمس قضية جد مهمة عن دور الصحافة فى تكوين «الهوية الأرمنية» . ونظراً لأهمية هذا الموضوع ، فسوف نفرد له مساحة كبيرة نسبياً . وحسب الباحثة ، تُعد الصحافة الأرمنية ركناً حياً من أركان الطباعة الأرمنية ، وجزءاً لا يتجزأ من النهضة الأرمنية . وبذا ، فقد عبّرت عن معاناة الأرمن وتوجهاتهم السياسية وساهمت بشكل كبير فى تفعيل الوعى السياسى الثورى لدى الأرمن بأفكارها

الليبرالية . ولذا ، فقد قامت الصحافة بدور حاسم فى نمو الهوية القومية لدى الأرمن . وفى خط متواز ، أصبحت الصحافة الأرمنية إحدى إفرازات القضيّة الأرمنية ولسان حال الأرمن للتعبير عن معاناتهم أمام الرأى العام الأوربى وكسب تعاطفه تجاه حل القضية الأرمنية .

فلاريب أن الصحافة الأرمنية أسهمت فى تصاعد الثورة الأرمنية ، والتى وُلدت فى رحمها الأحزاب الثورية . وهكذا ، أسست عدة منابر متباينة تمثلت فى مجموعة من الصحف الثورية مختلفة الأيديولوچيات متوحدة الأهداف ـ استقلال أرمينية ـ وكان لها صدى واسع فى طرح القضية الأرمنية وعرضها على المائدة الأوربية ، ومن ثم فإن الصحف الأرمنية مثلت إطلالة مهمة لعرض القضية الأرمنية من مناظير مختلفة وأسهمت فى تشكيل الوعى القومى للأرمن سواء فى الدولة العثمانية أو فى روسيا القيصرية .

ناقشت الصحافة الأرمنية على صفحاتها القضايا الاجتماعية والتعريف بمبادئ الحرية والنضال . وكذا ، نشر الوعى القومى بين الأرمن . ففى عام ١٨١٢ أصدر الأرمن رقيب بيزنطة لتكون أول صحيفة فى الدولة العثمانية ، ثم أسسوا ١٤ دورية بالعاصمة العثمانية إثر التنظيمات ، ومن أهمها هايرينيك Hayrenik (الوطن) وماسيس Massis (جبل أراراد) ، كما أسهم البطريرك مجرديتش خريميان فى إصدار صحيفة «نسر ڤاسبورجان» عام ١٨٥٥ ، وغدت هذه الصحيفة منبراً لطرح الأفكار الثورية ونشر الشعور القومى بين الأرمن ، وفى عام ١٨٦٣ أسس المطران كاريكين سيرڤانتسديانتس Karekin Servantsdiants صحيفة «نسر تارون» والتى نادى خلالها بالنضال والثورة المسلحة لتحقيق العدالة والحرية والمساواة . وعلى الجانب الآخر ، أصدر ستيپانوس نازاريانتس Stepanos Nazariants صحيفة هيوسيسّابايل Hiusissapile ، كما أصدر كريكور أردذرونى Krikor Ardzruni صحيفة مشاج (الفلاح) فى تفليس ، وقد لعبت دوراً مهماً فى تشكيل الوعى القومى للأرمن . وفى نفس المسار ، أصدر حزب الهنشاك صحيفة تحمل نفس اسم الحزب حثت على الثورة ونشر الأفكار القومية . وكذا أصدر حزب الطاشناق صحيفة معبرة عن آرائه الثورية وأفكاره التقدمية . وبذا ، نخلص أن الصحافة الأرمنية لها دور فعال فى نشر الأفكار الثورية وبلورة الهوية القومية فى قلوب الأرمن قبل عقولهم .

وفى ذات السياق ، أسهم الباحث على ثابت صبرى الضبع باحث دكتوراة بجامعة عين شمس بورقة مهمة عن «الإنتاج المعرفى للثورة الأرمنية» . وأثبتت الورقة أن الإنتاج المعرفى للأمم ، يلعب دوراً بارزاً فى المخاض الثورى ، وهو ما أدركه الأرمن جيداً منذ اختراع آلة الطباعة . والمعروف أن الطباعة أسهمت بفاعلية فى حفظ الإنتاج المعرفى ونقله وتداوله على نطاق واسع عكس آلية المخطوطات المحدودة والقليلة العدد . ولاريب أن الطباعة الأرمنية قد أسهمت بامتياز فى حفاظ الأرمن على هويتهم وعدم ذوبانهم فى فسيفساء الدولة العثمانية متعددة الأجناس والأعراق واللغات واللهجات والأديان . ولاشك أن حصاد الطباعة قد أفرز جيلاً أرمنياً متميزاً تبوأ مكانته العليا فى سُلّم دواوين دولة الخلافة . ومع تكاثر العوامل التى خلخلت الكيان العثمانى وتزايدها خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وظهور الحركات القومية فى البلقان ونجاح معظمها ، شعر الأرمن بأنهم ليسوا بأقل من هذه الشعوب التى ظفرت باستقلالها أو على الأقل بحكم ذاتى . هنا ، برزت تجليات الإنتاج المعرفى فى تهيئة الشعب الأرمنى بالدولة العثمانية للانخراط فى العمل السياسى سعياً وراء تحقيق أفضل نموذج لإرضاء الطموحات السياسية .

وفيما يتعلق بـ «أرمينية الغربية فى إطار العلاقات التجارية بين الشرق والغرب» ، جاء إسهام د. أشود ميلكونيان مدير معهد التاريخ بالأكاديمية القومية للعلوم بأرمينية ، وهو أكاديمى أرمنى . بدأ ميلكونيان بحثه بالإشارة إلى الدور التاريخى للهضبة الأرمنية فى تنشيط العلاقات الاقتصادية عبر آلاف السنين . واستشهد باعتراف المغول بالأهمية الإستراتيجية لطريق الحرير . ولكن بسبب غزوات الأتراك العثمانيين ، تدهورت الأوضاع الاقتصادية بالمنطقة بعد شيوع عدم الاستقرار وتفشى الانفلات الأمنى . ومنذ بداية القرن السادس عشر ، اندلع صراع شرس على أرمينية بين الدولتين العثمانية والصفوية بغية السيطرة على القوقاز وأرمينية . وبموجب معاهدة أماسيا العثمانية الفارسية (١٥٥٥) ، انقسمت أرمينية بين السلطتين . وفى عام ١٥٧٨ ، تجددت الحروب العثمانية الفارسية ، وأسفرت عن تدمير أرمينية وتدهور اقتصادها وإندلاع مذابح جديدة ضد الشعب الأرمنى . ولكن منذ نهاية القرن السابع عشر ، ازدهرت العلاقات التجارية بين أوربا ـ آسيا الوسطى ـ شبه الجزيرة الهندية مما أسهم فى إعادة الأهمية لأرمينية الغربية (العثمانية) . هنا ، برزت مجدداً أهمية مدينة أرضروم ؛ المدينة المركزية فى أرمينية الغربية التى وقعت على مفرق الطرق التجارية البحرية والبرية . وقد شهد على هذه التحولات الرحالة الأوربيون الذين جالوا المنطقة : «إن أرضروم تُعد من أكبر مراكز تجارة تركيا العثمانية» . وكانت هذه المدينة تُصدِّر البضائع إلى فرنسا وهولندا وإنجلترا وألمانيا . ولاريب أن هذه التجارة الضخمة كانت فى أياد الأرمن . وبخلاف أرضروم ، ثمة مركز تجارى مشهور آخر بأرمينية الغربية ألا وهو مدينة توكاد . وتُعد هذه المدينة من أبرز المحطات على الطريق إلى الشرق . وتجدر الإشارة إلى الدور البارز لشريحة «الأميرا» الأرمن الذين قاموا بدور مهم فى الاقتصاد العثمانى . وفى إطار هذه الظروف ، عادت روسيا القيصرية تهتم بـ «أرمينية الغربية» ، وراحت كاترينا الثانية تُشجِّع الأرمن على تنشيط التجارة الروسية مع الدول الآسيوية . ولذا ، تبوأ الأرمن مكانة عالية فى تجارة الترانزيت خلال القرن التاسع عشر . بيد أن هذا الازدهار قد تراجع جراء حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦) والحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨) مما أدى إلى هجرة حوالى ٧٤,٠٠٠ أرمنى من أرمينية الغربية إلى روسيا القيصرية علاوة على المذابح الحميدية ضد الأرمن (١٨٩٤ ـ ١٨٩٦) . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أدى عدم استطاعة التجار الأتراك على منافسة التجار الأرمن إلى خلق السبب الاقتصادى لإبادة الأرمن فى عام ١٩١٥ .

وجاء إسهام د. محمد رفعت الإمام بآداب دمنهور تحت عنوان «الأزهر الشريف والأرمن» . وحسب رؤيته ، لم يقتصر دور الأزهر على المسلمين فقط ، ولكنه طال الجماعات غير الإسلامية من قبيل الأرمن . ولذا ، غدا رمانة ميزان عناصر الأسرة المصرية ، وفى عين اللحظة ، درة تاج العالم الإسلامى . هذا ، وقد ركزت الورقة على دور الأزهر الفاعل مع القضايا التى تمس صورة «الإسلام والمسلمين» على نحو ما جرى فى الأناضول وقيليقية خلال شهر أبريل ١٩٠٩ . ففى منتصف هذا الشهر ، قتل مسلمو قيليقية حوالى «٣٠» ألف مسيحى ، أغلبهم من الأرمن ، بدعوى أنهم أنصار الدستور العثمانى (يولية ١٩٠٨) الذى يُخالف الشرع . ولذا ، انتفض شيخ الجامع الأزهر سليم البشرى ، وأفتى علانية بتحريم أفعال مسلمى قيليقية .

صورة أرمينية فى المصادر العربية والأجنبية

إعداد : عطا أحمد درغام

صدر مؤخراً عن «مركز الدراسات الأرمنية» بكلية الآداب جامعة القاهرة كتاب «صورة أرمينية فى المصادر العربية والأجنبية» ، راجعه وحرره د. محمد رفعت الإمام أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر بآداب دمنهور ورئيس تحرير مجلة «أريك» ، وقدّم له د. محمود علاوى مدير مركز الدراسات الأرمنية والأستاذ بقسم اللغات الشرقية كلية الآداب جامعة القاهرة . والكتاب هو الجزء الأول من الأبحاث التى أُلقيت فى مؤتمر المركز خلال العام المنصرم ، وقد أعدّها كوكبة من الباحثين فى مصر وسورية ولبنان وأرمينية .

وقع الكتاب (٢٥٤ صفحة) فى ثلاثة محاور أساسية هى : القضية الأرمنية فى المصادر العربية والأجنبية ، الأرمن فى مصر فى ضوء المصادر العربية والأجنبية ، أرمينية والأرمن خلال العصور الوسطى .

فيما يتعلق بالمحور الأول ، بدأه د. محمد رفعت الإمام بدراسة عن «القضية الأرمنية فى المصادر العربية ١٨٧٨ ـ ١٩٢٣» . وفى هذه الدراسة ، عكست المصادر العربية بامتياز القضية الأرمنية بكل أبعادها وملابساتها وتداعياتها منذ تدويل المسألة الأرمنية بموجب المادة «٦١» من معاهدة برلين ١٨٧٨ وحتى إجهاضها دولياً فى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ . وتتسم المصادر العربية بالتعدد والتنوع واختلاف المشارف والمضارب . وفى هذا الصدد ، ثمة ألوان متباينة من المصادر : الدراسات والمؤلفات ، الكتابات الصحفية ، الأدب ، الشعر . وبذا ، قسّم د. الإمام المصادر العربية إلى نمطين رئيسيين وهما :

أ ـ المؤلفات السياسية والأدبية (الكتابات الأيديولوچية)

ب ـ الكتابات الصحفية (كتابات الرأى العام)

فيما يتعلق بالنمط الأول ، ذكر د. الإمام منه على سبيل المثال : أعمال مصطفى كامل (المسألة الشرقية) ومحمد فريد (تاريخ الدولة العلية) وفايز الغصين (المذابح فى أرمينيا) ومحمد كرد على (خطط الشام ومذكرات) وولى الدين يكن (المعلوم والمجهول ، رائف وديكران) . وثمة ملاحظة جد مهمة على هذا النمط من الكتابات مفادها أنها لم تنكر وقوع المذابح الحميدية أو الإبادة التى اقترفها الاتحاديون . لكن معظم هذه الكتابات قد انصبت فى قوالب تبريرية . فمثلاً ، لم ينكر مصطفى كامل وقوع المذابح الحميدية ، ولكنه اجتهد فى نفى أنها سياسة عثمانية رسمية تبناها النظام الحميدى ، وسعى حثيثاً لإثبات أنها رد فعل خيانة

الأرمن لدولة الخلافة الإسلامية وتعاونهم الوثيق مع بريطانيا ـ دولة احتلال مصر . وأيضاً ، اجتهد كامل لترويج القضية الأرمنية فى سياق دينى مؤداه : أقلية أرمنية مسيحية تتعاون مع ، وتحتمى بـ «القوى الصليبية» للنيل من الإسلام مجسداً فى الدولة العثمانية .

أما النمط الثانى ، فقد ذكر د. الإمام أن المكتبة العربية تمتلك مجموعة قيّمة من الدوريات على شتى أشكالها التى تُقدِّم قاعدة بيانات متتالية زمنياً ومترابطة موضوعياً عن القضية الأرمنية . فمثلاً ، عكست جريدة «مرآة الأحوال» الحقبة البرلينية (١٨٧٨) ، وعبّرت جريدة «الزمان» القاهرية عن مراحل الثورة الأرمنية ، وجسّدت جرائد عديدة مرحلتىِّ المذابح الحميدية والإبادة الاتحادية من قبيل الأهرام ، المقطم ، الرأى العام ، المشير ، القبلة ، العاصمة ، الأخبار ، الأفكار . . . إلخ .

هذا ، وقد استشهد د. الإمام بالعديد من النماذج الصحفية التى تعاطت القضية الأرمنية . واختتم دراسته باقتباس من جريدة الأهرام ، الخميس ١٢ مارس ١٩١٧ : «إن الألمان وتلاميذهم الاتحاديين لم ينظروا إلى حل مسألة الأرمن على هذا الوجه (تأسيس دولة أرمنية) ، بل كانت خطتهم محو العنصر الأرمنى . وقد اتضح ذلك من عملهم وأقوال الشهود العدول» . وفيما يخص عملية تهجير الأرمن إلى ولاية حلب العربية ، عَلّقت الأهرام بقولها : «أما الجهة التى قاموا بنقلهم إليها فهى ولاية حلب العربية ، ولكنهم كانوا يفنونهم فى الطريق لأن الغرض الصحيح لم يكن الإبعاد ، بل الإفناء» .

وفى سياق هذا المحور ، خصصت الباحثة الأرمنية السورية د. نورا أريسيان دراستها عن «الأرمن فى الصحافة السورية» . وقد عالجت د. أريسيان الموضوع من خلال الصحافة السورية الصادرة منذ عام ١٨٧٧ وحتى عام ١٩٣٠ . وحسب تحليلها ، انفردت الصحافة السورية بطريقة طرح الموضوع وبأسلوب التوضيح الخاص لأن السوريين كانوا شهود عيان على هذه الأحداث ، مما أعطاهم الإمكانية لتوضيح الحدث بموضوعية أكبر . ولم تقصد د. أريسيان بشهود العيان فقط السكان السوريين ، بل قصدت الصحفيين ورجال الفكر والقلم الذين قاموا بتسجيل الحدث بكامله عن طريق الصحافة .

هذا ، وقد شملت الصحافة التى غطت موضوع الدراسة «٣٣» صحيفة سورية سياسية صدرت فى دمشق وحلب وحمص منها على سبيل المثال : الأمة ، التقدم ، ألف باء ، العاصمة ، المستقبل ، القلم الحديدى وغيرها . وكانت المقالات المتعلقة بالأرمن تتضمن بشكل أساسى المواضيع التالية : أخبار تهجير الأرمن ، وصف المذابح ، إحصاءات عن عدد الأرمن ، مقارنات بين حال الأرمن والعرب ، شهادات وتعليقات . وتجدر الإشارة إلى أن أصحاب القلم السوريين قد انطلقوا فى إطلاق أحكامهم من مبدأ أن القضية الأرمنية هى قضية إنسانية عليهم الإفصاح عنها وفضح خفاياها كى تستطيع الجماهير أن تُحدد رأيها وموقفها .

وجدير بالتسجيل أن جريدة «المقتبس» لصاحبها محمد كرد على (١٩٠٨) قد نشرت أكثر من«٢٠٠» مقالة خاصة بأحداث الأرمن . وقد تابعت الجريدة تهجير الأرمن إلى الصحراء السورية ، ومن ثم ، استقرارهم فى سورية . وبذا ، قسمت د. أريسيان هذه المقالات إلى ثلاثة أنواع وهى : ١ ـ تهجير الأرمن ، ٢ـ تعدادهم ، ٣ ـ أخبار استقرارهم فى الديار السورية . ويُلاحظ على حصاد «المقتبس» أنها كانت تُشدّد على فكرة الوفاق بين العناصر المختلفة فى الدولة

العثمانية . وفضّل كرد على فيما يتعلق بقضية الأرمن اتباع سياسة لينة وحكيمة بعيدة عن العنف .

وإضافة إلى المقتبس ، ثمة جريدة «القبس» التى أسسها محمد كرد على مع شكرى العسلى فى عام ١٩١٣ بدمشق . وقد اهتمت هذه الجريدة بمسألة الإصلاحات الأرمنية . وفى ١ نوفمبر ١٩١٣ ، علّقت «القبس» على مفاوضات روسيا وأوربا مع الدولة العثمانية بخصوص الإصلاحات الأرمنية بقولها : «إن الدولة العثمانية تعمل لحل المسألةالأرمنية على طريقة عثمانية لا على الطريقة الأوربية أو الروسية» .

أشارت د. أريسيان أيضاً إلى جريدة «التقدم» التى أسسها شكرى كنيدر عام ١٩٠٨ . ففى ١٥ أغسطس ١٩١٥ ، كتبت الجريدة أن «نحو مليون من الأرمن الذين كانوا يسكنون فى هذه الولايات (الأرمنية) قد أُبعدوا عن أوطانهم ونُفوا إلى الجنوب» . أما عن الموقف الرسمى ، فقد رصدته د. أريسيان من خلال صحيفة «العاصمة» الناطقة بلسان الحكومة السورية ، التى أصدرها الشريف حسين فى ١٧ فبراير ١٩١٩ ورأس تحريرها محى الدين الخطيب . وقد احتوت الجريدة أخباراً ثابتة عن الأرمن فى باب «الأخبار الخارجية» .

وانتهت د. أريسيان إلى أن جميع الصحف السورية منذ عام ١٨٧٧ وحتى عام ١٩٢٣ قد عبرت عن أرمينية الغربية باصطلاح «الأناضول الشرقى» ، إذ سُميت مرات عدة بولايات أرمينية الغربية أو أرمينية العثمانية . وعند الحديث عن الدولة العثمانية ، ُذكرت أرمينية كونها القطعة الأرمنية مثلها مثل القطعة الأوربية أو الإفريقية . إذاً ، مصطلح الأناضول الشرقى كان يُعادل الولايات الأرمنية الست . كما وصفت الصحافة السورية ما حدث للأرمن بأنه «إبادة» على نحو ما ورد فى جرائد «القلم الحديدى» (١٩١٦) و «المستقبل» (١٩١٧) . وبذلك ، تُعد الصحافة السورية مصدراً مهماً لتوثيق أحوال الأرمن وتهجيرهم من الولايات الست الأرمنية وغيرها إلى صحراء سورية واستقرارهم فى المناطق السورية المختلفة .

وفى ذات القضية ، خصص أ. على ثابت صبرى باحث دكتوراه بجامعة عين شمس دراسته عن «المذابح الأرمنية(١٨٩٤ ـ ١٨٩٦) بين الأكاديميين والهواة» . دراسة مقارنة بين المؤرخ المصرى د. عبد العزيز الشناوى أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الأزهر وبين المستشار المصرى أ. فؤاد حسن حافظ . وجدير بالتسجيل أن د. الشناوى قد خصص حيزاً مهماً عن «القضية الأرمنية» فى الجزء الثالث من عمله المشهور عن «الدولة العثمانية : دولة إسلامية مفترى عليها» . (أربعة أجزاء) . أما المستشار حافظ فقد عالج «القضية الأرمنية» فى سياق كتابه الذى رصد فيه «تاريخ الشعب الأرمنى منذ أقدم العصور حتى اليوم» (١٩٨٦) .

وفى الابتداء ، لاحظ الباحث أن د. الشناوى كتب عن القضية الأرمنية من منظور دينى مفاده أن الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية ، مما تمخض عنها أن أية أعمال قامت بها الدولة لها تبريراتها ، وعززت هذه الصورة بنظرية المؤامرة من خلال أن دولة الإسلام محوطة بالأعداء . أما حافظ ، فقد تناول الموضوع من منظور إنسانى خلاصته أن الأرمن شعب له حضارة وتاريخ مميزين . ورغم أن الظروف وضعته تحت الاحتلال العثمانى ، فمن حقه المطالبة بإصلاح أحواله على الأقل ، إن لم يكن الحصول على حكمه الذاتى أو استقلاله على الأكثر . وفى ذات السياق ، رغم أكاديمية الشناوى ، فإنه قد اعتمد على مصادر أحادية التوجه صبّت فى مجرى الرؤية العثمانية (التركية) ، ولذا ، وقع أسيراً للروايات التى أنتجتها الحكومات العثمانية وخليفاتها من الحكومات التركية . ورغم عدم أكاديمية

حافظ وعدم التزامه بالمنهج العلمى فى البحث ، فإنه قد اعتمد على مكتبة ثرية ومتنوعة .

وعلى هذه الخلفية ، قارن ثابت بين الأستاذ والمستشار مطبقاً على مذابح قضاء ساسون عام ١٨٩٤ ، وهى الموجة الأولى فى سلسلة المذابح الحميدية التى وقعت خلال عامىّ ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ . وانتهت المقارنة إلى أن الأستاذ ناقش المسألة بشكل سطحى معتمداً على رواية أحادية فقط استمدها من المؤرخ الأمريكى المتحيز جداً لتركيا وهو ستانفورد شو صاحب كتاب «الإمبراطورية العثمانية وتركيا الحديثة» بالإنجليزية (جزءان) .

كما أن الأستاذ خلط بين المفاهيم ؛ إذ قال «الثوار الإرهابيين» ! وهكذا وصف «الثائر» بـ «الإرهابى» . وعلى النقيض ، جاءت معالجة المستشار أكثر دقة ؛ إذ قال : بدأت المذابح فى ١٥ أغسطس حتى ١٥ سبتمبر ١٨٩٤ ، فى حين ذكر الأستاذ أنها وقعت «أواخر صيف ١٨٩٤» . كما أن المستشار استعرض أكثر من وجهة نظر لتحديد أعداد القتلى الأرمن فى مذابح ساسون . وعلى هذه الوتيرة ، قارن ثابت بين الشناوى وحافظ فى مذابح عام ١٨٩٥ وكذا حادثة البنك العثمانى (٢٦ أغسطس ١٨٩٦) وما تلاها من مذابح ضد الأرمن .

* * *

وبخصوص المحور الثانى ، بدأته د . أمينة أحمد إمام الشوربجى أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى بكلية البنات جامعة عين شمس بدراسة مهمة عن «العناصر الأرمنية فى مصر الفاطمية ودورها فى السياسة والحضارة» . وقد اعتمدت على أمهات مصادر التاريخ الإسلامى من قبيل : ابن الأثير (الكامل فى التاريخ) ، ابن خلكان (وفيات الأعيان) ابن الطوير (نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين) ، أبو المحاسن بن تغرى بردى (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) ، السيوطى (حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة) ، المقريزى (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) وغيرها .

وفى هذه الدراسة ، رصدت د . الشوربجى نحو الجالية الأرمنية فى مصر زمن الدولة الفاطمية ، وازدياد أعدادهم تدريجياً لاسيما عقب قدوم بدر الجمالى الأرمنى إلى مصر . وبمرور الوقت ، لم يعد الأرمن مجرد «عنصر عادى» ، بل نالوا العديد من الامتيازات التى جعلتهم يتربعون على قمة المناصب السياسية والحربية ، وقاموا بدور بارز فى إثراء الحركة العلمية والفكرية . وتجدر الإشارة إلى أن د . الشوربجى قد أفاضت فى تفصيل «الحقبة الأرمنية» فى الإدارة الفاطمية بدءاً من بدر الجمالى وابنه الأفضل مروراً بأحمد بن الفضل ويانس القاصد وبهرام وانتهاءً بطلائع ابن رزيق ورزيق بن طلائع . وختمت الباحثة دراستها بنتيجة مفادها أنه بنهاية الحقبة الأرمنية انتهت حقبة الاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى والترابط الاجتماعى فى الكيان الفاطمى ، وأخذت الفوضى والاضطرابات تستشرى فى هذا الكيان حتى تدخلت قوى خارجية وحيكت الدسائس والمكائد ، ودخلت مصر مرحلة جديدة عُرفت بـ «عصر صراع الوزراء» .

وفى ذات المحور ، جاءت دراسة «الأرمن فى الجيش المملوكى بناءً على المصادر العربية» من إعداد د . أرتور إسرائيليان أستاذ تاريخ العرب والإسلام ورئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة يريڤان الحكومية التابعة لجمهورية أرمينية . هذا ، وقد استعرض د . إسرائيليان دراسته المهمة والقيّمة من خلال ثلاثة محاور رئيسية . أولها : الأرمن فى الجيش المملوكى ، ثانيها : أشهر

الأمراء والوزراء فى مصر المملوكية ، ثالثها : أعمال الجيش المملوكى ضد أرمينية الصغرى .

واستناداً إلى مصادر عربية ، ثمة فرق صغيرة من الأرمن فى جيش المماليك البحرية لاسيما فرق : الصلاحية ، الأسدية ، العادلية ، العزيزية ، الكمالية ، الأشرفية . وفيما يتعلق بأشهر الأمراء والوزراء الأرمن فى الجهاز الإدارى فى دولة سلاطين المماليك ، ذكر د. إسرائيليان جملة منهم شأن موافى الدين أبو الفتوح الذى يُعد ـ حسب توصيف المقريزى ـ من أشهر أعيان الأرمن فى العصر المملوكى . وقد حصل على منصب الوزير فى أيام السلطان الظاهر برقوق . وكذا ، تاج الدين عبد الرازق (أمير ، وزير ، أستادار) ، عبد الغنى الفخرى السبع (أمير ، وزير ، مشير ، أستادار) وغيرهم . وأخيراً ، عرج د. إسرائيليان إلى سلسلة الحملات المملوكية ضد أرمينية الصغرى (قيليقية) التى انتهت بإسقاط آخر مملكة أرمنية مستقلة فى عام ١٣٧٥.

ووصلاً لهذا المحور ، جاءت دراسة «صورة العسكريين الأرمن فى مصر من خلال مصادر العصر العثمانى» التى أعدها د. جمال كمال محمود الحاصل على دكتوراه فى التاريخ الحديث من قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة عن «الأرمن فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ ـ ١٧٩٨» . وحسب دراسة د. جمال كمال ، أتاح اعتناق بعض الأرمن للإسلام فرصة تولى وظائف إدارية عليا حيث نجد رمضان أغا الأرمنى الذى تولى الشون الشريفة وكان أمين البحرين فى عام ١٦٦٤ . وفى عام ١٦٨٦ أصبح أحمد أغا الأرمنى سرداراً على طائفة المتفرقة . أما سليمان بك الأرمنى فكان من أهم الأمراء الذين ذاع صيتهم فى مصر العثمانية . وحسب توصيف الجبرتى ، كان سليمان بك «وجيهاً ذا مال وخدم ومماليك» . وقد تولى كشوفيات المنوفية والغربية عدة مرات . ومن هذا القبيل ، ذكر د. جمال كمال شخصية على بك الأرمنى الذى تولى الصنچقية عام ١٧٢٢ ، وكذا حاكم جرجا . بيد أن أهم المناصب التى تّولاها على بك كان منصب «أمين العنبر» فى عام ١٧٢٤ . ووفقاً للجبرتى : «حفظ الغلال وصرفها للمستحقين ، ومرتبات الحرمين والأوقاف وغلال الباشا والعليق ، وارتاح الناس فى أيامه» . هذا ، وقد أجمعت المصادر على نزاهة على بك الأرمنى .

واستعرض د. جمال كمال سلسلة من الشخصيات الأرمنية التى قامت بدور ما فى الحقبة العثمانية . ومن هؤلاء : محمد الصيفى الأرمنى ، وكذا ، نيقولا النصرانى الأرمنى الذى عرفه المصريون بإسم «نيقولا الرايس» . وكان من مماليك محمد بك أبى الدهب ، وبعد وفاة الأخير دخل فى خدمة مراد بك الذى أعد قوة عسكرية أنفق عليها أموالاً كثيرة ، وأنشأ أسطولاً حديثاً، وجعل نقولا الأرمنى قائداً لهذا الأسطول . ويشهد الجبرتى على وضع نيقولا بقوله : «وكان نيقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويمشى فى شوارع مصر راكباً وأمامه وخلفه قواسة يُوسِّعون له الطريق على هيئة ركوب الأمراء» . وهكذا ، كانت صورة العسكريين الأرمن فى مصر العثمانية إيجابية فى مجملها ، ولكنها لم تخلو من بعض السلبيات التى قام بها شلة من الأرمن .

* * *

وفى المحور الثالث ، الخاص بأرمينية والأرمن فى العصور الوسطى ، تحدثت دراسة د. أحمد عبد المنعم العدوى عن «الأوضاع السياسية فى ولاية أرمينية فى عهد بنى مروان بن الحكم ٦٨٤ ـ ٧٤٩ م» . وانتهت الدراسة إلى أن السنوات الممتدة بين عامّى ٦٨٤ ـ ٧٤٩

تُعد من أكثر فترات تاريخ أرمينية السياسى اضطراباً ؛ فقد كان لموضع أرمينية على التخوم بين الدولتين العربية والبيزنطية - خلال العصر الأموى - أثره الكبير فى توجيه مقدرات ومصائر الأرمن خلال حقبة طويلة من الزمن . وقد تنازع كل من العرب والبيزنطيين ضم أرمينية ، ولم تحل دون ذلك دون رغبة النخرار الأرمن (الأحرار كما وردت فى المصادر العربية) الجامحة للسيطرة على مقدرات البلاد . لكن هذا الطموح لم يرق أبداً إلى نزعة استقلالية جادة ، فقد كان جناحا طبقة النخرار الأرمن من آل بجرادونى (بجراطى) وآل ماميجونيان ، يُدركان جيداً أن استقلال أرمينية عن سلطان دمشق أو القسطنطينية أمر يفوق إمكانات الأرمن (لاسيما العسكرية) ، ومن ثم مالا إلى سياسة التحالفات مع تلك القوى ، فاستقطب البيزنطيون آل ماميجونيان ، على حين اعتمد الأمويون فى توطيد دعائم حكمهم بأرمينية - باستثناءات طفيفة - على آل بجراطى ، ومع الوقت تحّول الأمر إلى صراع ضار بين العائلتين العريقتين للوصول إلى السلطة تحت راية أى من المتنازعين على البلاد .

وفى الوقت نفسه ، كانت الدولة الأموية تمر بظروف داخلية بالغة الحساسية دفعتها رغماً عنها للانكفاء على الذات وإدارة الظهر للبيزنطيين . وكانت السياسات القمعية التى مارسها محمد بن مروان ضد الأرمن قد دفعت الأخيرين دفعاً إلى التحالف مع البيزنطيين ضد المسلمين . بيد أن ظهور الخزر الذين مثلوا خطراً داهماً على نفوذ الأمويين والأرمن جميعاً جعلت ولاة بنى أمية يتجهون إلى فتح صفحة جديدة فى العلاقات مع النبلاء الأرمن ، كما جعلت النخرار الأرمن أنفسهم يتناسون ما حل بهم على يدىّ محمد بن مروان .

وقد أسهم التحالف بين الأرمن والمسلمين إلى الحد من فعالية الهجمات الخزرية ونجاح القادة الأمويين فى تثبيت جبهة الخزر . وبالمقابل انتهز الخزر الفرصة فتحالفوا مع البيزنطيين ، بهدف دفع الأخيرين إلى مهاجمة ثغور المسلمين بآسيا الصغرى ، وبالتالى ، تقليل ضغوط المسلمين على جبهتهم ، نتيجة لانشغال المسلمين بدفع الروم عن آسيا الصغرى . وقد ظل الأمر سجالاً بين المسلمين والنخرار إلى أن استطاع محمد بن مروان دك دفاعات الخزر ، والاستيلاء على عاصمتهم ، وإجبار ملكهم على اعتناق الإسلام .

مرة أخرى ، دفعت ظروف الدولة الأموية داخلياً إلى الانكفاء على الذات مجدداً ، وإدارة الظهر للخزر والبيزنطيين جميعاً بغية التفرغ لمواجهة خطر الثوار العباسيين . وقد أجبرت هذه الظروف مروان الثانى على التخلى عن فتوحاته الباهرة بالقوقاز ، وإخلاء الثغور والحدود من الجنود والمقاتلة وحشدهم لمواجهة خطر العباسيين . وكان دأب البيزنطيين دوماً انتهاز تلك الفرص لإعادة السيطرة على أرمينية ، ومن ثم يعودون إليها ، ومعهم يعود نفوذ آل ماميجونيان من جديد .

كما ضم هذا المحور دراسات لكل من د . محمد دسوقى محمد حسن بآداب الفيوم عن «دور الأرمن فى سياسة البابوية الصليبية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى» ، أ . عبد العزيز الدروبى الكاتب السورى عن «أرمينية وتشكُّل الأمة الأرمنية» ، ود . محمد أحمد أحمد إبراهيم بآداب بنى سويف عن «أرمينية فى كتابات الجغرافيين المسلمين» .

معجم المرأة الأولى فى مصر

الجزء السابع

إعداد : شيماء الشواربى

منذ العصر المصرى القديم ، حظيت المرأة المصرية بمكانة محورية فى الحياة الأسرية والمجتمعية . وبمرور الزمن ، ترسّخت هذه المكانة بموجب الشرائع السماوية . وفى العصور الحديثة ، أسهمت المرأة بامتياز فى المنظومة المصرية على كافة المستويات . ونظراً لهذا الإسهام ، تنفرد «أريك» بنشر سيرة ذاتية مقتضبة لأول مرأة فى جميع التخصصات والمجالات والميادين المختلفة ، وسوف نقوم بترتيب أسمائهن أبجدياً . وتجدر الإشارة إلى أننا استقينا معلومات هذا المعجم من مواقع إلكترونية وكتب متخصصة فى تاريخ المرأة وموسوعات على رأسها : ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية للأستاذ أحمد رجائى ، وأعلام مصر فى القرن العشرين من إعداد وكالة أنباء الشرق الأوسط وغيرهما .

١ـ د. فوزية عبد الستار

من مواليد الإسكندرية فى ٢٧ مايو ١٩٣١ . ليسانس حقوق جامعة القاهرة عام ١٩٥٧ . ماجستير عام ١٩٦٢ . دكتوراة فى القانون الجنائى عام ١٩٦٧ . معيدة بحقوق القاهرة عام ١٩٦٣ . أستاذة القانون الجنائى عام ١٩٧٧ . ُعينت عضواً بمجلس الشعب عام ١٩٨٧ . رئيسة للشعبة القانونية بأمانة المرأة بالحزب الوطنى (المنحل) . أول سيدة تُعّين وكيلة للكلية لشئون التعليم والطلاب (١٩٨٨) . أُعيد تعيينها فى مجلس الشعب عام ١٩٩٠ . أول سيدة تُعين رئيسة للجنة التشريعية بالمجلس فى نوفمبر ١٩٩٠عضواً بالأمانة العامة للحزب الوطنى عام ١٩٩٣وعضواً فى لجنة الحوار الوطنى عام ١٩٩٤ . من مؤلفاتها : علم الإجرام والعقاب وشرح قانون العقوبات . كرّمتها رابطة المرأة العربية باعتبارها واحدة من أبرز القانونيات فى عام ١٩٩٩ . عُينت عضواً فى أول مجلس قومى للمرأة عام ٢٠٠٠ . زوجة د. نجيب حسنى رئيس جامعة القاهرة الأسبق وعضو مجلس الشورى الأسبق.

٢ـ د. فينيس كامل جودة

أول وزيرة سيدة تشغل منصب وزيرة البحث العلمى فى عام ١٩٩٣ ولمدة ٤ سنوات . من مواليد ٧ أكتوبر ١٩٣٤ . بكالوريوس فى الكيمياء علوم عين شمس عام ١٩٥٦ . ماجستير عام ١٩٥٩ . دكتوراة من نفس الجامعة عام ١٩٦٢ . مساعد باحث بالمركز القومى

للبحوث (١٩٥٦ ـ ١٩٦٢) . باحثة فى الكيمياء الطبيعية (١٩٦٢ ـ ١٩٦٦) ، أستاذ باحث عام ١٩٧٤ . رئيسة لقسم الكيمياء الطبيعية . شاركت فى أكثر من ١٥ مشروعاً بحثياً منها تآكل الستانلستيل والتآكل فى تكرير البترول وتآكل المواد المستخدمة فى التصنيع . عضوة الجمعية الكيميائية بمصر وجمعيات عالمية منها جمعية المعادن بلندن . حصلت على جائزة المركز القومى للبحوث للإسهامات العلمية عام ١٩٨٣ . جائزة من الكويت عام ١٩٨٦ . وسام العلوم والفنون عام ١٩٧٦ . جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٧٣ . أولت اهتمامها للأبحاث العلمية خاصة أبحاث الفلزات التى نالت عنها جائزة تبرعت بقيمتها لقسم الكيمياء بالمركز القومى للبحوث الذى بدأت فيه حياتها العلمية . أعدت خلال توليها الوزارة برنامجها لمحو الأمية الكمبيوترية لهيئات البحوث فى المراكز البحثية . أعدت مشروع تحويل القمامة إلى سماد عضوى .

٣ ـ د.كاميليا شكرى

من مواليد القاهرة . كانت أُمنية والدها أن تكون طبيبة مثله . ولكنها فضّلت كلية الزراعة . وحصلت على البكالوريوس عام ١٩٦١ (عين شمس) . والماچستير من أمريكا فى الكيمياء والنظائر المشعة والدكتوراة فى التنمية الزراعية . عضوة هيئة التدريس بالكلية التى تخرجت فيها . شاركت فى العمل مع بعض المنظمات الدولية فى مجال الزراعة والغذاء . مقررة محطة التجارب الزراعية فى الكويت وأعدت أول مرجع أساسى للزراعة هناك . عادت لمصر لتختارها المنظمة الدولية للأغذية والزراعة للمساهمة فى مشروع لتنمية دور المرأة فى إنتاج الغذاء . رشحها البنك الدولى لتقييم مشروعات شباب الخريجين فى النوبارية عام ١٩٩١ . وكانت المصرية الوحيدة ضمن خبراء دوليين . وصلت لمنصب وكيل الوزارة . وشاركت بجهد كبير فى أعمال المجلس القومى للأمومة والطفولة ، وكانت المسئولة عن مجموعة عمل اللجنة القومية للمرأة . مستشارة رابطة المرأة العربية منذ عام ١٩٩٨ . عضوة منتخبة فى أكاديمية العلوم بنيويورك منذ عام ١٩٨٢ . أول سيدة تحصل على صفة مهندس استشارية من نقابة الزراعيين عام ١٩٨٤ .

٤ ـ الشيخة كريمة العدلية

من أشهر قارئات القرآن الكريم . كانت تُرتِّل القرآن فى الإذاعات الأهلية ، واستمرت مقرئة فى الإذاعة الرسمية حتى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) . عاصرت الشيخ على محمود والشيخ بدار .

٥ ـ د. كريمة حسين لبيب

من مواليد ٤ فبراير ١٩٢١ ثالثة فتاة تلتحق بكلية طب الأسنان . بكالوريوس طب أسنان جامعة القاهرة عام ١٩٤٣ . رائدة تقويم الأسنان فى مصر والشرق الأوسط (أول أستاذة تقويم أسنان) . أول مصرية تحصل على درجة الزمالة من كلية الجراحين . أول سيدة تتولى رئاسة قسم بكليات الطب . سافرت إلى إنجلترا للحصول على درجة الزمالة من كلية الجراحين الملكية بإنجلترا فى طب الأسنان وكانت أول مصرية فى هذا الشأن . وعادت إلى القاهرة وعملت بالتدريس بالكلية ثم أنشأت قسم تقويم الأسنان . قامت بدور الأم لطلابها . كرّمها الرئيس السابق حسنى مبارك بمنحها وسام الاستحقاق .

٦ ـ د. كوكب حفنى ناصف

من مواليد عام ١٩٠٥ . من رائدت النهضة النسائية . شاركت وهى طالبة بالمدرسة السنية فى المظاهرات مما أدى لفصلها فالتحقت بمدرسة الحلمية . سافرت عام ١٩٢٢ مع أول بعثة طبية تُوفرها مستشفى

كتشنر للفتيات لدراسة الطب بإنجلترا . تخرجت عام ١٩٣٢ ، وعادت لتعمل طبيبة فى المستشفى على مدار ٣٠ عاماً ، وتولّت رئاسته فكانت أول مصرية تتقلد منصب حكيمباشى بعد الإنجليزيات . وأول طبيبة تشغل منصب حكيمباشى ثم مديرة سنة ١٩٦٢ . تعلّمت الجراحة على يدىّ د. نجيب محفوظ وعهد لها بإجراء ٧ جراحات فى يوم واحد . نجحت فى تغيير المستشفى وليُصبح اسمه مستشفى شبرا العام . أسست أول مدرسة للتمريض بالمستشفى . كانت الوحيدة التى عملت بالطب من بين المبتعثات الخمسة ؛ فقد تركت ٤ منهن المهنة لأسباب مختلفة . وهى أول دارسة للطب قبل أن تكون هناك دراسة طب للبنات بمصر ، بل وقبل أن تلتحق أية واحدة بالجامعة المصرية . أول سيدةٌ تُفكر فى مشروع دار حضانة للعاملات وكانت من دعاة تنظيم الأسرة . منحها الرئيس أنور السادات جائزة الدولة تقديراً لجهودها فى مجال الطب . عضوة بنقابة الأطباء . تُوفيت عام ١٩٩٩ وكانت بكامل عافيتها . شقيقة الأديبة ملك (باحثة البادية) .

٧ـ كابتن لطيفة النادى

من مواليد ٢ نوفمبر ١٩٠٦ . حصلت على البكالوريوس من الكلية الأمريكية برمسيس . كان عمرها ٢٥ عاماً عندما قبلت العمل عاملة تليفون بشركة مصر للطيران لتُنفق على مصاريف تعليمها قيادة الطائرات وبواسطة من الكاتب محمد زكى عبد القادر . بعد أقل من ٣ شهور نشرت الصحف خبر حصولها على إجازة الطيران لتُصبح أول فتاة فى مصر والعالم العربى تعمل طيارة ، أرسل معلمها الإنجليزى صورتها للصحافة العالمية فأصبحت مشهورة عالمياً . شاركت فى إنشاء وإدارة نادى الطيارين فأطلقوا عليها أخت الطيارين . ثم أصبحت أم الطيارين . فازت بسباق الطيران بين الإسكندرية والقاهرة سنة ١٩٣٣ . وظلت سكرتيرة للنادى ٢٠ عاماً . أصيبت فى حادث «أرض» بعد وقوعها من السلم فوق هلب حديدى شق وجهها وأصاب عمودها الفقرى فى أوائل الخمسينيات الماضية مما اضطرها للعلاج فى سويسرا على نفقتها ولتكاليفه الباهظة اضطرت للإقامة والحصول على الجنسية السويسرية حتى بعد علاجها الذى استمر مدى الحياة . حضرت للقاهرة فى عام ١٩٩٥ . وبعد غياب طويل عن مصر قضته فى رحلة العلاج ، احتفل بها نادى الطيارين وتم تكريمها فى إطار الاحتفالات بعيد الطيران . كرّمتها أمريكا عام ١٩٩٣ بمناسبة تكريم الطيارات المتفوقات ونقش اسمها فى لوحة رخامية فى صدر بناية الصداقة الدولية بولاية كنساس التى تضم أسماء الشخصيات العالمية البارزة . تسلّمت شهادة تكريمها من تلميذتها الطيارة المصرية دينا الصاوى والتى تم أيضاً تكريمها .

٨ـ د. لطيفة محمد النادى

من مواليد القاهرة عام ١٩٣٤ . بكالوريوس علوم عام ١٩٥٦ . قسم فيزياء . ماجستير فى الطبيعة الإشعاعية عام ١٩٦٠ من جامعة برمنجهام بلندن دكتوراة فى التفاعلات النووية . وكانت أول سيدة تحصل على الدكتوراة من مؤسسة الطاقة الذرية بالقاهرة عام ١٩٦٤ . تدرّجت فى السلك الجامعى من معيدة بعلوم القاهرة حتى رئاسة قسم الفيزياء فأستاذ متفرغ . بدأت البحث فى مجال الليزر أوائل السبعينيات . أسست معهد الليزر عام ١٩٩٤ . تم اختيارها عضوة عاملة بالجمعية الفرنسية لليزر . وضابط اتصال على مستوى الدول . فازت بجائزة رامال الذهبية التى تمنحها الجمعية الفرنسية للفيزياء كل عامين لفيزيائى متميز فى أبحاثه وبهيئة تحكيم من العلماء المرموقين من

أمريكا وأوربا (١٩٩٧) واعتبرتها أبرز عالمة فيزياء فى حوض البحر المتوسط ولتصبح ثالثة سيدة تحصل عليها على مستوى العالم ، وأول مصرية وعربية تحصل على هذا التقدير . تقوم بالتدريس حالياً بجامعات أمريكا .

٩ ـ د. ليلى تكلا

من مواليد القاهرة فى ٦ ديسمبر ١٩٣٢ . ليسانس حقوق جامعة القاهرة عام ١٩٥٤ . دبلوم دراسات اجتماعية . ماجستير عن محاكم الأحداث من جامعة كاليفورنيا عام ١٩٥٧ . دكتوراة الفنون والإدارة من جامعة نيويورك عام ١٩٦٣ . بدأت باحثة بمركز البحوث الجنائية والاجتماعية عام ١٩٥٦ . قامت بالتدريس فى جامعة نيويورك . رُشحت قاضية أحداث فى روما عام ١٩٥٨ . أستاذة بمعهد الإدارة العامة . عضوة بمجلس محافظة القاهرة . عُينت عضوة بمجلس الشعب ، وانتُخبت رئيسة للجنة العلاقات الخارجية عام ١٩٧٥ . رئيسة جمعية الصداقة المصرية الفنلندية عام ١٩٧٦ . أول مصرية تُمثل الشرق الأوسط فى اليونسكو . وأول سيدة تُنتخب لعضوية المجلس التنفيذى للاتحاد البرلمانى الدولى . عُينت عضوة بالمجلس القومى للمرأة عام ٢٠٠٠ .

١٠ ـ السفيرة مرفت التلاوى

وزيرة الشئون الاجتماعية (١٩٩٧ ـ ١٩٩٩) . بدأت دراستها فى مدرسة سان چوزيف للراهبات فى المنيا حصلت على شهادة الثقافة ثم تزوجت ، ولكنها أكملت تعليمها بمساعدة والدتها ووالدها الذى كان عمدة . والتحقت بالجامعة الأمريكية عام ١٩٥٧ . حصلت على بكالوريوس قسم إدارة أعمال وعلوم سياسية عام ١٩٦١ . تقدّمت ضمن ٤٥٠ متقدماً لامتحان وزارة الخارجية للعمل فى السلك الدبلوماسى ، نجحت منهم فتاتان هى إحداهما . تدرّجت ملحقاً دبلوماسياً وعملت فى مكتب الوزير ثم الإدارات العربية والإفريقية والاقتصادية والمراسم والهيئات . سكرتيرة ثانية بالديوان العام بالوزارة . ملحقة ثانية وملحقة أولى ببعثة مصر فى چنيف . موظفة دولية فى الأمم المتحدة ، وأصبحت مديرة للبعوث والتدريب لمركز الأمم المتحدة لتقدم المرأة منذ عام ١٩٨٢ إلى عام ١٩٨٥ . أول مصرية تعمل فى دول البحر الكاريبى . وصلت لمنصب مساعدة وزير الخارجية . نائبة مدير معهد الأمم المتحدة للتدريبات والبحوث المتعلقة بالمرأة فى نيويورك من عام ١٩٨٢ إلى عام ١٩٨٥ . نائبة مدير إدارة الهيئات والمنظمات الدولية بوزارة الخارجية عام ١٩٨٥ . مندوبة مصر لدى الأمم المتحدة فى چنيف ونيويورك . عضوة مجلس جمعية حقوق الإنسان . عضوة اللجنة الوطنية للأطفال . مستشارة معهد الدبلوماسيين . مندوبة الأمم المتحدة فرع مصر . مستشارة التحضير للمؤتمر العربى للأمم المتحدة . مستشارة سكرتارية الأمم المتحدة لمؤتمر كوبنهاجن . مثلت مصر فى العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية . سفيرة لمصر فى ڤيينا عام ١٩٨٧ ومحافظة لوكالة الطاقة الذرية ، وسفيرة مصر لدى اليابان عام ١٩٩٣ . الأمينة العامة للمجلس القومى للمرأة عام ٢٠٠٠ .

١١ ـ ملك حفنى ناصف

من مواليد الجمالية ٢٥ سبتمبر ١٨٨٦ . حصلت على الابتدائية عام ١٩٠١ وكانت الأولى . دبلوم المعلمات من مدرسة السنية عام ١٩٠٣ . عملت مدرسة لغة عربية بنفس المدرسة عام ١٩٠٥ . ثم تفرغت للكتابة الأدبية والشعر ، وأجادت الإنجليزية والفرنسية عام ١٩٠٩ . نشرت قصائدها فى جريدة المحروسة ، ومقالات فى صحيفة «الجريدة» بعنوان «النسائيات» . كما ألّفت كتاباً عن حقوق النساء . ولها

ديوان النسائيات . تُعد أول رائدة للنهضة النسائية فى مصر ، وأول خطيبة فى المؤتمرات العامة . أسست الاتحاد النسائى التهذيبى ومدرسة لتعليم السيدات التمريض ومشغلاً للفتيات . أصبحت من كبار الكتاب الاجتماعيين فى أواخر القرن التاسع عشر . فضلت الحياة فى أطراف الصحراء بعد زواجها من الشيخ عبد الستار الباسل ، وطالبت بتعميرها فأطلق عليها «باحثة البادية» . أول امرأة مصرية تُمثل النساء فى مؤتمر عام ١٩١١ . تُوفيت فى ١٧ أكتوبر ١٩١٨ .

ملك محمود مصطفى

من مواليد ٢٧ أغسطس ١٩٤٨ بكالوريوس تجارة (محاسبة) جامعة عين شمس عام ١٩٦٤ ماجستير محاسبة عام ١٩٧٠ . مدرسة مساعدة بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية فى الفترة (١٩٧١ ـ ١٩٧٨) . عملت بوزارة الأوقاف ، فكانت أول مديرة عامة ، وأول سيدة تعمل وكيلة للوزارة . مثلت الوزارة فى الاتفاقية المصرية التركية فى بحث أوقاف «قولة» . الأم المثالية عن محافظة القاهرة عام ١٩٩٩ . وكيلة بعثة الحج الرسمية عام ٢٠٠٠ . رئيسة لقطاع المديريات بالديوان العام بجانب الإدارة المركزية للبر . أول سيدة تحصل على درجة وكيلة أول وزارة الأوقاف .

١٢ ـ د. منى مصطفى القاضى

من مواليد ٢٣ أغسطس ١٩٤٤ . بكالوريوس هندسة جامعة عين شمس عام ١٩٦٦ . ماجستير عن أحسن الأوضاع للمصارف المغطاة للأراضى الزراعية فى مصر عام ١٩٧١ . دكتوراة عن إدارة المياه على المستوى الحقلى عام ١٩٧٦ . مديرة معهد البحوث المائية عام ١٩٧٩ . وكيلة هندسة الزقازيق (١٩٨٥ ـ ١٩٨٦) . حصلت على وسام الجمهورية لكونها أول سيدة تحصل على الدكتوراة فى الهندسة المدنية قسم الرى من الجامعات المصرية عام ١٩٧٩ . جائزة الدولة التشجيعية ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى عام ١٩٨٤ . أول سيدة تتولى رئاسة المركز القومى للبحوث المائية فى عام ١٩٩٧ .

١٣ ـ د. نادية محمد مرسى

أول سيدة تُعين عميدة لصيدلة القاهرة . بكالوريوس الصيدلة والكيمياء الصيدلية فى عام ١٩٦٢ . ماجستير فى الصيدلانيات عام ١٩٦٥ . دكتوراة فى نفس التخصص عام ١٩٦٩ . أستاذة ١٩٨٠ . وكيلة كلية الصيدلة لشئون الدراسات العليا والبحوث عام ١٩٩٧ . أول سيدة تتولى منصب عميدة الكلية عام ١٩٩٨ وحتى عام ٢٠٠٠ . عضوة جمعية الصيدلة المصرية عام ١٩٦٢ . ونقابة الصيادلة . وجمعية صيادلة المستشفيات عام ١٩٩٥ . عضوة أكاديمية العلوم للمرأة للعالم الثالث عام ١٩٨٩ . والجمعية العربية للميكروبيولوچى والأمراض المصرية عام ١٩٩٢ . أستاذة زائرة فى المعاهد القومية الصحية الأمريكية ووكالة الأدوية والأغذية .

١٤ ـ د. نبيلة على حسن

بكالوريوس طب أسنان جامعة القاهرة عام ١٩٦٢ . ماجستير جراحة الفم جامعة القاهرة . دكتوراة عن تأثير الكورتيزون فى التئام عظام الفك عام ١٩٧٤ . نائبة زائرة فى المستشفى الحكومى بأدنبره إنجلترا عام ١٩٩٦ . أول سيدة جراحة للفك والأسنان . وأول أستاذة جراحة بكليات طب الأسنان . لها أبحاث عن اكتشاف طرق حديثة لتشخيص الأكياس داخل عظام الفك . عضوة نقابة أطباء الأسنان .

دور الأقباط فى المجتمع المصرى
١٩٢٢ ـ ١٩٥٢

إعداد : ملاك نجدى

عرض : على ثابت

بتقدير «مرضى» حصل الباحث ملاك نجدى أبوضابة فى ٣ فبراير ٢٠١٣ ، على درجة الماجستير ـ نظام الساعات المعتمدة ـ من قسم التاريخ ـ فرع التاريخ الحديث والمعاصر ـ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عن أطروحة «دور الأقباط فى المجتمع المصرى ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢» تحت إشراف أ. د. فاروق عثمان أباظة أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة الإسكندرية . وقد تشكلت لجنة المناقشة والحكم على الرسالة من أ. د. محمد محمود السروجى أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة الإسكندرية رئيساً ومناقشاً ، أ. د. صلاح أحمد هريدى أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب جامعة دمنهور مناقشاً .

ووقعت الرسالة فى ٢٤٨ صفحة ، مقسّمة إلى أربعة فصول تسبقها تمهيد وتُنهيها خاتمة . هذا ، وقد جاء الفصل الأول بعنوان : الأقباط والحياة السياسية المصرية ، والفصل الثانى بعنوان : الأقباط والحياة النيابية المصرية ، والفصل الثالث بعنوان : الأقباط والحياة الاقتصادية والاجتماعية المصرية ، والفصل الرابع بعنوان : النشاط العلمى والثقافى للأقباط . وفيما يلى أبرز نتائج الدراسة وهيكلها العام .

أسهم الأقباط بشكل فعال فى المجتمع المصرى وفى تاريخه الحديث والمعاصر ، بل أكثر من هذا ، امتدت إسهاماته إلى الحضارة الإسلامية ذاتها . وفى فترة الدراسة التى تمتد من عام ١٩٢٢وحتى ١٩٥٢ ، وضح دور الأقباط بجلاء لاسيما منذ أن صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى منح مصر نوعاً من الاستقلال، ومن ثم حُق لها أن تضع دستور ١٩٢٣ ، وتُصبح المملكة المصرية .

بدأ دور الأقباط يتزايد فى فترة من أخصب الفترات التاريخية على كافة الأصعدة حيث ارتّسمت ملامح الشخصية المصرية فى القرن العشرين ، وتم تعزيز مصطلح «مصر للمصريين» ، فساهم الأقباط فى تشكيل الوفد المصرى عام ١٩١٩ باعتباره الحزب الذى لعب الدور الرئيسى فى الفترة محل الدراسة ، على يدى سعد باشا زغلول ، ثم موقف الأقباط من دستور ١٩٢٣ ، الذى يُمثل نواة التجربة الحزبية الليبرالية المصرية فيما بين ثورتّى ١٩١٩و ١٩٥٢ ، ثم تشكيل أول وزارة للشعب ١٩٢٤ ودور سعد زغلول فى اختيار وزيرين قبطيين بها لأول مرة فى التاريخ المصرى الحديث والمعاصر ، كما ضمت هذه الوزارة وزيراً مصرياً يهودياً

، ثم موقف الأقباط من معاهدة ١٩٣٦ ، وموقفهم من إلغائها ، ثم تأسيس حزب الكتلة الوفدية الذى نشأ نتيجة انشقاق مكرم عبيد وغيره من الأقباط عن الوفد ، وأدى إلى إضعافه ، وبالتالى إضعاف تمثيل الأقباط فى الحياة السياسية والنيابية المصرية ، كذلك برز دور المرأة القبطية فى الحياة السياسية المصرية ، فقد وقفت تشد من أزر الرجل ضد الاحتلال البريطانى وتشد على يديه .

ووصلاً لما سبق ، تواجد الأقباط بعد ثورة ١٩١٩ ، من خلال المجلسين النيابيين فى الفترة قيد الدراسة ، كنموذج حى من الحرية التى تمتع بها الأقباط فى مصر ، ومثالاً واقعياً عن التزام الأقباط بواجباتهم تجاه مصر كمواطنين مصريين ، وتمتعهم بحقوقهم فى التعبير عن مطالب المصريين كافة ، فما قدمه الأقباط من خلال الأسئلة والاستجوابات والمناقشات ، لم تظهر فيها المطالب الطائفية الخاصة بهم ، فما تناقشوا فيه كان عملاً مصرياً عاماً يهم كل مصرى ، ولم تظهر صفة الطائفية فيه بأية صورة .

كذلك فقد شارك الأقباط فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية المصرية ؛ فلعبوا دوراً مهماً فى الاقتصاد المصرى ، والمهن والتجارة والأعمال التى مارسوها ، كما لعبوا دوراً كبيراً نافسوا به الأجانب فى مجال الاستثمارات المصرفية ، التى أرجع المؤرخون انصراف المسلمين عنها إلى العامل الدينى وتحريم الإسلام للربا ، إلا أن الأقباط كان لهم باع طويل فى الأعمال التجارية ، وساهموا فى الشركات ، وتضامنوا فى جماعات تجارية ضمت المسلمين والأقباط ، ولكن السياسة العامة الاقتصادية فى النصف الأول من القرن العشرين حولت جهود المصريين نحو الزراعة ، وقللت من أهمية الصناعة والتجارة بين المصريين ، ولذلك احتل الأجانب المجال المصرفى فأنشأوا فروعاً لنشاطاتهم فى مصر .

ونشأت فكرة إنشاء بنك وطنى للمرة الأولى قبل عامين فقط من الاحتلال البريطانى لمصر . وخلال العقدين الأولين من القرن العشرين تبلورت الفكرة بفضل الكتابات الصحفية . ففى ٨ مارس ١٩٢٠ تم عقد تأسيس شركة بنك مصر ، بين ثمانية من ذوى الأملاك المصريين هم : أحمد مدحت يكن باشا ، يوسف أصلان قطاوى باشا ، محمد طلعت حرب بك ، عبد العظيم المصرى بك ، عبد الحميد السيوفى ، الدكتور فؤاد سلطان ، عباس بسيونى الخطيب أفندى ، إسكندر مسيحة ، ونشر المرسوم الخاص بإنشاء بنك مصر فى ملحق الوقائع المصرية الصادر يوم الثلاثاء الموافق ١٣ أبريل ١٩٢٠ ، وقد صدر هذا المرسوم بتأسيس شركة مصرية تُسمى بنك مصر ، كان رئيس وزراء مصر وقتها يوسف وهبة باشا ، وكان أيضاً يتولى وزارة المالية ، ويذكر مرسوم تأسيس البنك أن رأس ماله ثمانين ألف جنيه مصرى موزعة على عشرين ألف سهم قيمة كل سهم أربعة جنيهات .

بالإضافة لدورهم فى تأسيس الجمعيات الأهلية القبطية التى أسهمت فى توحيد عنصرى الأمة ، والعمل على دعم كافة طوائف المصريين بلا تفرقة بين مسلمين وأقباط ، وسعيهم الحثيث لنشر الثقافة والتعليم ، ومدى تأثرهم ودعوتهم للفكر الاشتراكى ، والأهم أن المصريين اشتركوا فى جميع الاحتفالات الشعبية بالموالد القبطية التى كانت مناسبة طيبة للجميع .

وعلاوة على ما سبق ، أسهم الأقباط فى الحياة الثقافية والعلمية المصرية ، وفى مختلف مجالات النشاط العلمى والثقافى فى مصر ؛ كدليل على استمرار دورهم ومشاركتهم ، فامتهنوا النشر الثقافى والطباعة ، ثم فى الصحافة سواء كأصحاب صحف أو كصحفيين ، وقاموا بدور مهم فى النهضة التعليمية المصرية من خلال المدارس التى افتتحوها ، أو من خلال عملهم كمدرسين ، ودورهم فى الفن التشكيلى .